الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية

الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر.
قراءة في مدونة شعراء التسعينيات

مذكـــرةمكملة لنيـــل شهـــادة الماستر تخصص :أدب عربي حديث و معاصر

إعداد الطالب:
عبو سمير الدين

تحت إشراف:
أ.عبيد نصر

أعضاء لجنة المناقشة

أ.دايري مسكين	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	رئيسا
أ.عبيد نصرالدين	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	مشرفا
أ.مسلم خيرة	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	مناقشا

السنة الجامعية
2024-2023
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالى والبحث العلمى

جامعة الدكتور مولاي الطاهر سعيدة
كلية الآداب و اللغات و الفنون
قسم اللغة العربية

الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر.
قراءة في مدونة شعراء التسعينيات

مذكـــرةمكملة لنيـــل شهـــادة الماستر تخصص :أدب عربي حديث و معاصر

إعداد
الطالب

تحت إشراف:

أعضاء لجنة المناقشة

	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	رئيسا
	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	مشرفا
	جامعة الدكتور مولاي الطاهر	مناقشا

السنة الجامعية
2024-2023

شكر و تقدير

قال الله تعالى".....لئن شكرتم لأزيدنكم....."
أشكر الله تعالى الذي بفضله تم إنجاز هذه المذكرة
أتقدم بالشكر إلى الأستاذ الفاضل:عبيد نصر الدين، الذي كان مشرفا على هذه المذكرة
إلى الأستاذ :دايري مسكين رئيسا
ألى الأستاذة:مسلم خيرة مناقشا
ألى الأستاذة الفاضلة :ماي أمال
إلى كل من كان عونا فغي إنجاز هذه المذكرة، كما لا ننسى الأخ ناصر الذي أشرف على طباعة هذه المذكرة.
إلى كل الأحباب الذين ساعدوني،و كانوا يد العون .
إلى كل هؤلاء أقدم بالشكر الكبير إليهم

سمير عبو

إهداء

إلى روح الأب الغالية رحمة الله
إلى أمي أطال الله في عمرها و شفاها
إلى زوجتي و سندي في السراء و الضراء
إلى قرة عيني ابنتي العزيزة وصال

إلى الكتكوت الصغير محمد الأمين ريان
إلى الأستاذ الفاضل عبد القادر
إلى إخوتي وأخواتي بدون استثناء
إلى روح أختي عائشة رحمها الله
إلي إبنة أختي هاجر رحمها الله
إلى زملائي و زميلاتي تخصص أدب حديث و معاصر
إلى كل الأساتذة الأفاضل الذين كانوا لنا العون في إتمام هذه المذكرة
إلى كل من لم تحملهم سطور ورقتي، إلى كل هؤلاء أهدي هذه المذكرة

سمير عبو

مقدمة

مقدمة

إن المتبع للمرحلة التي مر بها الأدب العربي - الشعر خاصة - عبر العصور يجد أن الشاعر العربي كثيرا ما كان شعر بالاغتراب والحنين والشوق، ويعبر عن ذلك في إبداعه الفني و الأدبي، ويظهر ذلك خصوصاً في الشعر أكثر من النثر كون الشعر متنفس للشاعر الذي يعبر به عن اغترابه وحنينه وعن حالته النفسية وما يعيشه في زمانه من ألام واشتياق، وعليه فقد كان موضوعنا عن ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر خاصة دواوين شعراء التسعينات لان في هذه الفترة كان الشاعر الجزائري يعيش اغتراب نفسى وعاطفى و اجتماعى و سياسى ... الخ[1].

وقد يعد الاغتراب من بين المصطلحات التي عرفت طريقها في الدراسات الحديثة إلا انه كشعور وجد بوجود الإنسان على المعمورة[2] .

ولما كان الشاعر العربي يتميز بالحس المرهف وتأثره بالشوق والحنان كان عليه أن يعيش مأساة الاغتراب على مر العصور، فقد اقتصر الاغتراب عند الشاعر العربي القديم في البعد عن الوطن فراق و الأهل والأحباب ليأخذ مفهوما مغايرا في الشعر الحديث ، أين أصبح يعش الشاعر الاغتراب وسط أهله وفي وطنه وفي مجتمعه .

ومن بين الشعراء الذين كانوا يعبرون عن الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر وبالخصوص مرحلة التسعينيات نذكر من بينهم : عزا لدين ميهوبي، يوسف وغليسي، عثمان لوصيف، عبدا لله حمادي،أحمد سعيد، محمد مصطفى الغماري، هذا الأخير الذي كان موضوع قراءة في مدونة شعراء التسعينيات هو الشاعر الجزائري مصطفى محمد الغماري - فقد كان نموذجا لمذكرة تخرجنا.

و السبب في إختيار لهذه المرحلة تحديدا لهؤلاء الشعراء أي شعراء التسعينييات هو كثرة الأعمال و ظهور الشعراء المغتربين في بلادهم و خارجها،و من بين الأسباب كذلك التي ساقتنا إلى البحث في هذا الموضوع هو قلة الدراسات

---

[1] ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر مرحلة التسعينيات مذكرة تخرج شهادة ماستر 2019-2020

[2] مذكرة تخرج لنيل شهادة اللسانيس للغة والادب العربى " الاغتراب في شعر مصطفى محمد لعماري ، ديوان أسرار الغربة - .... - 2010 2011

و الأبحاث في هذا الجانب"الشعر الجزائري المعاصر في تلك المرحلة"،بحيث وجدنا أغلب الدراسات الشعرية فيها كانت ذات طابع شكلي،وتكاد تنعدم فيها الدراسات المعمقة و الموضوعية،كما كان هناك دافع لإختيار هذا الموضوع هو الحضور الطاغي لظاهرة الأعمال في تلك الفترة،و قد إتبعنا في دراستنا لهذا الموضوع جانب الوصف،و جانب التحليل،لأن ظاهرة الإغتراب هو موضوع من خلاله نعرض الظاهرة،و نناقشها ثم نطبق عليها الشعر بعد تحليله ،و السبب الذي كان وراء إختيار الشاعر محمد مصطفى الغماري نموذجا للمذكرة يعود بالأساس إلى كون الشاعر من الأوائل الذين كتبوا في مرحلة التسعينيات أي كان يعيش الشاعر الجزائري ،و بالخصوص الأدباء و الشعراء مرحلة من الخوف والترهيب و الإرهاب و الإغترابعن الوطن و المعانات التي عاشها هؤلاء الشعراء،كما يعتبر محمد مصطفى الغماري رمزا للتحدي ، و المقاومة علاوة على ذلك كلما نقرأ شعر لهذا الشاعر نجد ظاهرة الإغتراب و الحزن في شعره .

أما العوائق التي نحن بصدد الإجابة عنها تتمثل في:

*تجليات ظاهرة الإغتراب في الشعر الجزائري المعاصر

*كيف أثرت ظاهرة الإغتراب في الشعر الجزائري مرحلة التسعينيات،أي القصيدة في تلك الفترة .

*قراءة في مدونة شعراء التسعينيات

أما المواضيع و الدراسات التي تناولت هذا البحث نذكر:

-كتاب الغربة والحنين في الشعر الجزائري لعمر بوقرورة

-ظاهرة الإغتراب في شعر محمد مصطفى الغماري،و للإجابة عن هذه الإشكالية إتبعنا الخطة الأتية:

الفصل الأول : جاء العنصر الأول تحت عنوان مفهوم الإغتراب ،تحدتنا عن الإغتراب لغتا و إصطلاحا.

و العنصر الثاني:جاء بعنوان تجليات الإغتراب في الشعر الجزائري المعاصر ،أما الفصل الثاني جاء دراسة الشاعر في مرحلة التسعينيات ،أي بدأنا بحياته ثم نتاجه الشعري ،ثم تكلمنا عن أثر الإغتراب في شعر محمد مصطفى الغماري من ناحية اللغة ، و الصورة و الإيقاع،ثم الخاتمة التي كانت حوصلة أو

نتيجة لما درسناه في عملنا،و قد إعتمدنا لإنجاز هذا البحث عدة دراسات،و مصادر و مراجع لإنجاز هذا البحث، كما لا ننسى الصعوبات و العوائق التي واجهتنا في إنجاز هذه المذكرة من قلة الدراسات و المراجع ،وكذلك صعوبة الحصول على الدواوين المدروسة لهذه الظاهرة.

فالسؤال المطروح فيم تمثل الاغتراب عند محمد مصطفى الغماري ؟

وما هي مظاهر و آثار الاغتراب على المستوى الفني ؟

و السبب الذي كان وراء اختيار الشاعر مصطفى الغماري نموذجا للمذكرة يعود بالأساس إلى كون الشاعر كان من الأوائل الذين كتبوا في مرحلة التسعينيات أي كان يعيش الفرد الجزائري وبالخصوص الأدباء والشعراء مرحلة من الخوف والترهيب والإرهاب والاغتراب عن الوطن والمعاناة التي عاشها هؤلاء الشعراء، كما يعتبر مصطفى محمد الغماري رمزاللتحدى والمقاومة علاوة على ذلك كلما تقرأ الشعر عن هذا الشاعر تجد ظاهرة الاغتراب والحزن في شعرة .

فأردنا أن نخوض في البحث لإيجاد تفسيرا لهذا الشاعر.

الـفـصل الأول
الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر

تعريف الاغتراب:

لغة:استخدمت المعاجم العربية ألفاظا كثرة ذات دلالات متقاربة لتحديد مفهوم الفرقة، فقد ورد في لسان العرب لابن منظور غرب بمعنى بعد، فقال أعرب عنى أي : تباعد[1] وفي حديث الرسول صلى الله عليه وسلم أن النبي أمر بتغريب الزاني عن البلد الذي وقعت فيه الجنابة.

ويقال : أغربته وغربته ، إذ أبعدته والتغرب هو البعد، والغرب هو النزوح عن الوطن والاغتراب .

قال المتلمس من البحر الطويل :

ألا أبلغا أثناء سعد بن مالك رسالة من فقد صار في الغرب جانبه[2]

ونقول تغرب واغترب: من الاغتراب والتغريب، ورجل غرب بضم الغين والراء، وغريب بعيد عن وطنه وجمعه غرباء والأنثى غربية وقد سئل النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام فقال: الإسلام بدأ غريبا وسيعود غريبا، كما بدأ فطوبي للغرباء".

وجاء في قاموس المحيط الفيروز الإبادي الغرب : المغرب والذهاب و.... والنزوح عن الوطن[3].

غرب بمعنى غاب ، وورد في تاج العروس من جواهر القاموس : الغرب ..... عن الناس والبعد .

والتشاؤم العرب القدامى من الغراب اشتكوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب.

[1] ابن منظور، لسان العرب المحيط دار الجيل بيرون 1988 - 42 ص 966

[2] المتلمس : هو جديد بن عبد المسيح ، بن بني ضيعة، وأخواله في شكر - ديوان المتلمس ....براهم عبود ياش السامراني (بغداد) 1973 مج ، ص 105

[3] مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز الأبادي ، القاموس المحيط دار الجيل بيروت ص 113.

قال الحافظ وليس في الأرض بارح، ولا نطيح و لا قعيد ولا أغضب ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغراب عندهم أنكد منه يرون أن صياحه أكثر أخباراً، وان الزجر فيه أعم[1]

أما في المعجم العربي الحديث لاروس ، جاء غرب غربا ، ذهب فلان عنا تنحى عنا في سفره أي تمادي[2]

غرب الرجل أي بعد وغرب الكوكب : غاب ، غربا وغربة الرجل نزح عن وطنه، والغرب هو الغريب والغربية تعنى البعد.

اصطلاحا:

مصطلح الاغتراب من أكثر المصطلحات تداولا في العصر الحديث ، وعلى الرغم من الدراسات حوله لا تزيد عن المائة وخمسين سنة الماضية إلا أنه موضوع قديم قدم الإنسانية نفسها .

ورغم كثرة الكتابات حول مفهوم الاغتراب إلا أن هذا المصطلح ما زال غامضاً نوعا ما ، مما ولد اختلاف الآراء وتعدد الأقوال حوله.

ولكن المفاهيم كلها تصب في قالب جوهري واحد، هو أن الاغتراب حالة تستولي على المرء فيعيش في قلق و كآبة، و يعاني من توتر نفسي و قلق مقلق لشعوره بالبعد عن ما يهوى ويرغب ، وحرمانه من الفرص التي تجعله قادرا على المشاركة في نشاطات يستطيع من خلالها إثبات نفسه، وذلك بسبب سلطة فوقية تقف حائلا بينه وبين بعض حقوقه الوجودية فيعش عزله حيث يرى قبلان المعالي أن هذه العزلة تتمثل في عدم الشعور بالانتماء للعمل بعناصره المختلفة والشعور بالغربة عن الذات، وهذا يؤدي إلى انعدام تحمس الفرد لعمله[3].

وجاء إلى الدراسات الحديثة تغيرات نفسية واجتماعية المفهوم الغربة إذ أن هيجل وهو أول من أدخل الاغتراب كمفهوم إلى علم الاجتماع من خلال الفلسفة المثالية يرى أن الاغتراب في هميم نسبة الحياة الكلية[4].

---

[1] الحافظ أبو عثمان الحيوان، دار الجيل بيروت 1961 - ج 2 ص 316

[2] خليل الحرة المعجم العربي الحديث (لاروس) مكتبة لاروس باريس 1987 ، ص 874.

[3] قبلان المعالي العلاقة بين الاختصاص الاكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاس دوايت دين دراسة ميدانية مجلة اليرموك الاردن ع 4 1993 ص 347

[4] حلمي براهيم عبد الفتاح الغربة في شعر أسامة بر5 منفذ مجلة مؤتة، جامعه مرئة م 8 1993 ص 70.

ويرى الوجوديون أن سبب الاغتراب هو الانفصال عن الواقع والممكن في الوجودالانساني، فوعي الإنسان مكنه من إدراك الإمكانيات و أن يتصور ما ليس قائما لأنه يملك موهبة القدرة على تجاوز حدود وجوده ذهنيا،وهذا الوعي والقدرة على التجاوز يتيحان له تحقيق كافة إمكاناته أما فرويد في تفسره النفسي ، فقد ربط الاغتراب بعدم تحقق الرغبات الجنسية فينتج عن ذلك شعور الفرد بالاغتراب وفي كل مرة يجد الفرد عائقا أو حائلا يقول بينه وبين تحقق رغباته، وهذا الحائل يكون اجتماعا أودينا .

وقد ربط مصطلح الاغتراب بظاهرة الأنومي ANOMIEوهي شعور الفرد بالعجز وعدم قدرته على التأقلم مع القواعد السلوكية العامة.

حيث يرى دوركايم الانومى موقف تتفكك فيه المعايير الاجتماعية فتبدو غير قادرة على ضبط سلوك الفرد[1].

ويرى فتلر:" أن الشخص الذي اغترب قديد من على الكحول أو المخدرات .

أو يرتكب سلوكيات إجرامية ، كما أنه لا يستطيع تحمل المسؤوليات الاجتماعية كالزواج مثلا، وتختلف هذه السلوكيات حسين المنظور الشخصي لكل فرد تجاه الوجود والحياة[2].

كما حظيت ظاهرة الاغتراب باهتمام المفكرين حيث يرى ابن باجة أن الشخص الذي يعانى الاغتراب إنسان فاضل، يعيش في مدينة غير فاضلة، ويرى أن هناك أشخاص قلائل يسميهم النوائب كل الفلاسفة والأطباء والقضاة مكانهم الطبيعي هو المدينة الفاضلة غير أن وجودهم في المدينة غير الفاضلة ضروري لنفع هذه المدينة ورعايتها فيعشون فيها غرباء.

ويرى قيس الثوري أن للاغتراب عدة معاني فهاد الانفصال الحتمي والمعرفي لكيانات أو عناصر معيشية في واقع الحياة ووعي الفرد بوجود الآخرين

[1] قبلان المعالي العلاقة بين الاختصاص الاكاديمي وبعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاييس .. الدين ص 439.

[2] جازية كرام والاعتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية، عوامله ونتائجة - 1988 ص 31-32.

واعتبارهم شيئاً مستقلا عن نفسه، وانعدام القدرة والسلطة إلى تعني التطور بالعجز[1].

تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر:

المقصود بالشعر المعاصر هو ذلك الشعر الذي كتب في كل الحداثة التي ظهرت في الجزائر مع الجيل الجديد جيل الشباب في السبعينيات من القرن الماضي وما بعدها بغض النظر عن نقاط الضعف التي سجلها النقاد والدارسين لتلك المرحلة في تاريخ الشعر الجزائر، وبأن الشعر لم يكن شعر جزائريا وإنماء كانت محاولة تقليد للشعر الحرفي المشرق، وكذا الأخطاء اللغوية التي وقعوا فيها، وبأن اللغة العربية في تلك الفترة كانت تعاني اغترابا ونقول هنا : صحيح إن شعراء السبعينيات استفادوا من مختلف التيارات النقدية والادبية[2].

وقد حاولوا أن يكتبوا شعرا جديدا يحاكي الشعر العربي في تلك الفترة فالشعر في هذه المرحلة استطاع أن يغير مفهوم ووظيفة الشعر فقط كان شعر الثورة في مرحلة الاستعمار ومرحلة الاستقلال بعدها وأصبح شعرا ثوريا ، ثائراً على كل الأحداث والتطورات والتغيرات التي يعيشها الفرد العربي عموما والفرد الجزائري خاصة ، وثائرا على الشعر التقليدي الكلاسيكي من جهة أخرى ، يقول أزواج عمر وهو يتحدث عن الشعر الصادر قبل السبعينيات شعر تراثي لم يحمل معه أي تحديدا مطلقا - لأنه ظل حبيس سجع و الثقفية، التي لاتخدم الموضوع والرؤية[3].

و نورد كذلك قول محمد سعيدي وهو يتحدث عن الصراع القائم بين الشعر القديم والشعر الجديد:"... أنا عندما يطرح قضية التصادم لقد كان النصف الثاني من الستينيات مرحلة بحث، في حين إن ما بعد السبعينات كانت البداية الحقيقية في هذه المرحلة نجد نموذجا جديدا يقارب بالنموذج القديم....إن النموذج الأدنى الذي انتهى وأنهار، يفرض أن يوجد نموذجا جديداً وهذا يعرض في حد ذاته تصادما بدون.....، وتحميل الماضي ما لا يطيق، فإن النموذج الذي لدينا لابد أن

[1] مذكرة تخرج الشهادة اللسانس الاغتراب في شعر معضد محمد العماري ديوان أسرار الغربة ص 10.
[2] مذكرة تخرج شهادة ماستر، "ظاهرة الاغتراب في الشعرر الجزائري المعاصر المرحلة السبعينات) ص 8
[3] محمد ناصر (الشعر الجزائري الحديث 176 نقلا عنه محمد سعيدي الشعب 3486 (1975/02/20)

تتصادم معه..."[1] كما يلاحظ أن كل من أزراج و سعيدي وغيره من الجيل الجديد يرى بضرورة إحداث قطيعة مع الشعر القديم ، والكتابة وفقا للنموذج الجديد رغم أن أحكام هؤلاء كانت مجحفة في حق الشعر القديم ، كما انطلقت من خلفية أيديولوجية اشتراكية ولكن هذا ليس موضوع بحثنا بقدر ما يعنينا من شعر هؤلاء ، لأن شعر هذا الجيل كما ذكر الدكتور عبد الحميد هيمة : إن أكثر الأجيال حيوية ونشاطا في مجال الإبداع الأدبي هو جيل الشباب (جيل الحداثة الشعرية) الذي يمثل الولادة الحقيقة للشعر الجزائري الحديث[2] وتلك هي الحداثة التي بدأت تشكل وجه الشعر المعاصر الجزائري.[3]

وعليه فالقصيدة الجزائرية المعاصرة التي نحن بصدد دراستها و.... عن مواطن الاغتراب فيها في هذا الجزء من بحثنا هي قصيدة ما بعد السبعينيات.

إن القصيدة الجزائرية المعاصرة فيحد ذاتها مظهر من مظاهر الاغتراب الذاتي الاجتماعي والنفسي والسياسي، وكذلك مواضعها اغتربوا على مستوى الوطن العربي عموما وعلى مستوى الجزائر خصوصا، فقد وجد المثقف الجزائري نفسه غريبا مغتربا يشكو الضياع الانكسار الانهيار والهزيمة العربية كذلك الأوضاع في الجزائر خلقت في نفسه تمزق داخليا شعريا أثر شكل أو بآخر على إنتاجه الشعري والأعمال الأدبية عموها في هذه الفترة وما بعدها، فقد أصبحت تعالج ضمنا أزمة المثقف رجل يتقن العربية لغة الاغتراب والغربة[4].

وقد تختلف الأسباب لدى الشعراء في اغترابهم ، فقد يكون الفقر اغترابا فقد قالوا قديما بأن الغنى في الغربة وطن، والفقر في الوطن غربة وقد بعد لون البشرة اغتراب السمرة، والمرض اغتراب والمجهول اغتراب.

ونذكر فيما يلي بعض القصائد إلى تكلمت عن الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر يقول أزراج عمر في قصيدته المغتربة "ثم الكتابة من ديوانه "مهموم مواطن يدعى عبد العال، ويظهر لنا الشاعر مغتربا من خلال عنوان القصيدة

[1] محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث 176 نقلا عنه محمد سعيدي الشعب (02/22/ 1975)
[2] عبد الحميد الهمة والبنيات الاسلامية في الشعر الجزائري المعاصر دار الهوية ط1 1988 ص 06
[3] حسن فتح الباب شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والأفاق الوطنية للشباب الجزائر 1988 ص 40
[4] مذكرة تخرج شهادة ماستر في اللغة والادب العربي ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر مرحلة السبعينات ص 10

والديوان، أيضًا في هذه القصيدة يصور لنا أزواج أزمته كمبدع لا يعرف كيف ير....قلوب المتذوقين[1].

يقول : قليلا من الحزن

كأين يصبح الحب أشهى

فعيناك والبحر

.....- إذا ما دجى الليل للغرباء.

وأمواج تلك البحار التي عانقت سفنا.

لم تجد من الموانئ مأوى تحاوره الريح

ترسم في أضلع الغيمة المتناثرة الآن

في المتوسط والأطلسي وجه ثائرة .

علقت في رقاب المساكين والفقراء اسمها

ضمن قائمة الشهداء

و راحت تبارك حبك حرفا من الضاد.

متخذ برصاص البنادق[2]

إنها قصيدة اضطراب ، ضياع، تأمل اغتراب بين المتلقين للشعر في تلك الفترة التي تعودت من الشعر، عمود هو قديمه ولم تستوعب بعد الشكل الجديد مغترب مقترب في الفكر والرؤية ونصف متسائلاً:

إذن فلما تهاجر ؟

اسألني ؟

والرصيف الذي نمت بوما على صدره

يذكر الآن ملامح بعض ملامح وجهي

ووجهي ينساب من الشوارع

[1] حسن فتح الله شعر الشباب الجزائري ص 110 المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987.
[2] المصدر السابق ص 111.

والريح متعبة تتقول عبر الضلوع

هل البرد يأنس في اظلعي ؟

آم تقاومها الريح حين تجيء[1].

يؤكد بهذه الأبيات أنه شغل بالهموم وان الشعر أصبح غريبا في وطنه ثم خلق في نفسه اغترابا حادا بسبب إنكار قومه لشعره .

تم بعود ليثبت صموده ومواجهته لهؤلاء و تصدى لهم بشعره قائلا:

أو الأصحاب يحتج على صمت القصيدة.

آخر الأصحاب يحتج على نثر القصيدة.

وأنا بينهما أبحث عن وجهي.

الذي زف إلى عاتقه

ترفض أوزان القصيدة

تنتهي المرحلة الأولى

ولا أرفع صوتي عاليا

تصبحون للمعمول أصداء

ولا أرفع صوتي عاليا .

مثل جميع الفقراء[2]

ينتقل من التعبير عن ألمه واغترابه إلى السعي نحو تجاوزه ورفضه رفضا مطلقا، ويقول في قصيدة أخرى:

بكيت الضياع

الضياع

الضياع

[1] حسنى فتح الله الشعر الشباب في الجزائر من الواقع والأفاق المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1987 ص 111.

[2] المصدر نفسه ص 112.

وقلت :غدا... الدهر من بخله فيمد الشعاع

واقرع طبل الوداع

لأرض الضياع

الضياع

و خبأت اسمي

تسلقت حلمي

و حين سقطت رأيت دم سائلا باتجاه الأمومة.

فهو مت في طرقات المدينة[1] .

قصيدة عذابات انكسارات وآلم، تحمل شحنة من التمرد والرفض فهو يريد الهروب من ألامه لعالم آخر، ويناجي الدهر بأن يمده بخيوط أمل، يخشى الوداع يخشى الرحيل ، ولا يجد سبيلا إلى غيره تجمع قصيدته بين الألم والأمل وكل المتناقضات .

ونجد الشاعر عاشور يطلعنا بقصيدة من ديوانه **رجل من غبار** يقول:

كتم القلب أوجاعه زمنا

ثم أجهش في حيدره

المباني عالية

والأمان منكسرة

والملاعب واسعة

وأنا.....

خلله أتزوج في المقبرة

ثم قال: الوجوه التي كنت اعرفها

هي الآن تنكرني

والديار التي كنت اسكنها

[1] ازواج عمر الأعمال الشعرية الكاملة 1969 ، دار الأمل للطباعة والتوزيع، ص 197-198.

هاهيا الآن تسكني

والقبور التي انفتحت هكذا..

فجأة

لم تسبع جنة الوطن[1].

قصيدة رائحة الموت ، عاشور فني في هذه القصيدة يخبرنا بأنه غريب في وطنه الذي أحالوه مقبرة ثم عددا كبير من الموتى، أصبح غريباً في أعين الذين كان يعرفهم وديارة التي كان يسكنها أصبحت مجرد ذكرى مخزنة في ذاكرته، يشكو الضيق رغم اتساع الكون، والاسم الذي بات يكتمه حتى ضاقت به الأرض فأجهش في حيدرة كما قال،الشاعر الأزهر عطية حكاية أخرى مع الاغتراب، إذ يقول:

كيف أشدو أو أغنى ؟

وأنا أحيا غريبا.

في متاهات الزمان.

كيف أشدوا أو أغنى ؟

وأنا احيا غريبا

احمل الهم الذي لا يتحمل[2].

يظهر لنا الأزهر في هذه الأبيات أن تائها في دنيا الضياع والتشرد غريب، يجد نفسه مشقة في اليوم والكتابة، ولا يجد من الكلمات ما يوصل شعوره إلى الملتقى المغترب كحاله، ثم يأتينا بأبيات تبين سبب غربته ووحشته قائلاً:

أي قلب سيفنى

عندما يضحى سجينا

عندما الليل يطول.

عندما يبكى النهار

[1] عاشور في رجل من غبار، منشورات الاختلاف الجزائر، ط 1 ص 9-10.
[2] الازهر عطية السفر إلى القلب المؤمنة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ص 35

عندما الحب يموت

في قصور الأمراء أيها الناس افهموني[1].

و ينقل لنا في هذه الأبيات ألم الشعوب العربية مما خطر على حكمها ممارسهم

الشعبة في حق رعاياهم اغترابه اغترابا سياسيا بروح جماعية .

كما نذكر الشاعر محمد الزبتيلي الذي كان شاعر من بين الشعراء الذين عانوا ويلات الضياع والاغتراب فيقول :

من أين بلد أنت ؟

من أسفل هذا العالم

ولماذا جئت أنت ؟

إني ابحث عن نخله عشقت باسقة هيفاء

ضيعها أجدادي في الصحراء.

لكنك من أسفل هذا العالم

حيث يناجي الناس الليل.

ويبكون إذا أدركهم القمر[2].

تعددت صور الحيرة والضياع والاغتراب هنا، ويطرح الشاعر تساؤلات بنية التطلع لغد أفضل ومستقبل مختلف عن الماضي والحاضر الأليم ومن الشعراء المعاصرين في الجزائر الذين عانوا الاغتراب نذكر منهم حكم ميلود إذ يقول :

هل يعرف الرمل أنه يحضن الآن أفراحك المرعبة ؟

سماء و ماء

وأنت وحيد كغيم الصحاري

[1] نفس المصدر السابق ص 37

[2] محمد الرتيلي ، مملكة الحوت ص 28.

وأنت غريب بلا وطن وأغاني.

و ملكك ابعد من رحلات الهوا ري.

ومن غجر لا يحبوني أن يبحروا في الدوار.

فالبطل تائها متعب في شعر ميلود، مغترب يعاني الضياع والاغتراب والشاعر أيضا كذلك جسد لنا بعض ملامح الاغتراب في أبياته وما يضنيه من عذاب وحزن ووحدة لا متناهية .

تستطيع القول من خلال ما ذكرناه من تلك النماذج الشعرية الجزائرية المعاصرة في جيل السبعينات إلى الوقت الحاضر إنها نماذج اغترابية تعاني الاغتراب والضياع بشتى أنواعه وبمختلف مظاهره .

أسباب الاغتراب:

أسباب الاغتراب متعددة ومتنوعة، ومن الأسباب التي تبرزها، فهي عدم الانسجام النفسي مع المحيط، وهذا بدافع التشاؤم واليأس الذين يغليان على الشخص ويتمكنان من نفسيته،فيعاني الاغتراب الذي يكون سببا في رفضه للمجتمع وعدم انسجامه مع أفكار مجتمعه، وعدم خضوعه لتقاليدهم وعاداتهم، فيحلق هذا حاجزا منيعا بينهما، وعندما يعجز الفرد عن تغيير هذه الأفكار والتجديد فيها ، يعلن تمرده عن مجتمعه وعصيانه لهم، فيتولد ذلك الإحساس حول الانفصال عن المجتمع وبالتالي يكون هناك صراع الذي يحمل معنى الاغتراب.

فالاغتراب قد يكون سببه الوحدة، فإحساس الفرد بالوحدة ونسبية معرفته ومحدود ته قدرته يولد لديه قلقاً دائما يطارده ويلازمه حتى يصبح جزء من شخصيه، ويصاحبه تصور بالظلم والاضطهاد، واستلاب الحرية.

والإرادة والمعاناة والإحساس بالوحدة والقضاء المحتوم.

وللاغتراب أسباب اقتصادية قد تؤدي إليه ترتبط بالتقديم الصناعي والحداثة التكنولوجية والثورة الصناعية بصفة عامة والتي عرفتها أوروبا في القرن الماضي، إذ أدى تقسم العمل إلى تغريب العامل عن عمله ، بحيث فقد الشعور بالوحدة مع عمله ونفسه، وكأنه يوجد نشاطه وإنتاجه مند ذاته حيث يقول نبيل

راغب : والمأساة انه لا يستطيع التوقف عن هذا النشاط وإلا فقد القدرة على مواكبة الحياة ذاتها[1].

لقد أصبح الاغتراب ناتجا عن عدم قدرة الفرد على مواجهة السلطة التي تجعله متهما دون أن يدرك جريمته وبالتالي هنا تنفصل الدولة عن المواطن تماما مما يولد لدي شعوراً وإحساسا بالغربة ، واليأس من كل تغير ايجابي، مما يدفع بالفرد إلى التقوقع و الانعزال في حياته الخاصة، وتمس ظاهرة الاغتراب في العصر الحديث نسبة كبيرة من الأشخاص لكن بدرجات متفاوتة حيث يقول نبيل راغب في محلة الفيصل عندما فشل إنسان العصر الحديث في الانتماء إلى الحياة والمجتمع فإنه رفع لواء اللاإنتماء تعبيرا عن سخطه المتزايد والسلبي تجاه مظاهر الاغتراب التي تحيط به من كل جانب[2].

ومن أسباب الاغتراب كذلك الأسر والحبس ، فالشاعر العربي عندما يقع في الاسر تتولد في نفسه أحاسيس المهانة والذل والهوان، فيصح فريسة الوحدة نظرا لسلب حريته وعدم معرفة ما يخص له ذلك المستقبل المجهول لذي ينتظره من الأعداء[3].

الاغتراب في الشعر العربي قديما وحديثا:

<u>قديما في الشعر الجاهلي</u> :على المستوى التاريخي نجد وضوحا وغموما ذلك الفترة المنكرة من فترات الإبداع العربي القديم، فلا خلاف حول نهاية العصر، فهي محسومة بمجرد مجيء الإسلام ، وما صاحبه من تغير في مجرى الحياة العربية.

فقد عاش بعض الشعراء ظاهرة الاغتراب في الجاهلية فتذكر على سبيل المثال عنترة بن شداد الذي رفض وتنكر مجتمعه له كونه ابن أم سوداء / فقد كان منبوذا من طرف الجميع وينادونه ابن زبيبة إمعانا منهم في بنده والحط من مقداره وكرامته إذ يقول في قصيدته

[1] نبيل راغب، مفهوم الاغتراب في الأدب، مجلة الفيصل، دار الفيصل للثقافة - 96 – مارس 1985، ص 46.

[2] المرجع نفسه ص 48.

[3] مذكرة تخرج لنيل شهاده لسانس ادب عربي " الاغتراب في شعر مصطفى محمد العماري ديوان أسرار الغربة نموذجا

ينادوني في السلم يا ابن زبيبة .....وعند صدام يا ابن الأطايب[1]

فمن خلال هذا البيت بين لنا بأن عنترة أول ما فتح عينه فتحها على الحرمان - على الحياة، وفى نفسه الحرمان والشعور بالنقص، وفي هذا الصدد و يقول عبد الله التطاوي بدت ثورة عنترة مجرد صيغة من صيغ التمرد وهي بتعبير أدق ثورة العبد على التقاليد والظلم وأهلها[2].

وقد نجد عنترة بن شداد قد عانى في غربة نقية، تولدت معه معاناته العبودية التي فرضت عليه، وذلك السواد لونه بالرغم من أن والده كان من رحالات عبس المعدودين ، بالإضافة إلى كثرة ترحله، وتنقله الدائم إلى تفرضه عليه ظروف معيشته ، فيعاني اغتراب الشوق والحنين إلى حبيبته عبلة، فيقول[3]:

احرقني نار الجوى و البعاد.....بعد فقد الأوطان والأولاد

شاب رأسي فصار أبيض لونا.... .بعدما كان حالكا بالسواد

وتذكرت عبلة يوم جاءت..... لوداعي والهم والوجد باد

وهي تدري من خيفة البعد..... مستهلا بلوعة وسهاد .

فهو يصور تلك الآلام من بعده عن الأوطان وعن الأهل والأولاد وغالبا ما يكون شعراء المعلقات أكثر الناس تعبيرا على الاغتراب والغربة بوقوفهم على الأطلال.

كذلك إن الطلل هو ما يذكرهم برحيل الحبيب وبعده عنهم، يقول النابغة[4]:

يا دار مية بالعلياء فالسند.....أفوت وطال عليها سالف الأبد

وقفت فيها أصلاً أسالها..... عييت جوابا وما بالربح من احد

فهو يذكر الماضي - الأهل والأحباب، و يتذكر موافقة معها في ظلال حياة جميلة عاشاها.

---

[1] عيسى حماد عبد العزيز الصراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند اصحاب المعلقات الجزائر 1990 ص 289.

[2] عبدالله الطاري مقدمات في أدبنا القيم والنصوص شعرية ونثرية كلية الآداب القاهرة، دار ..... للطباعة ص 24.

[3] عشره بن شداد ، ديوان عنترة دار بيروت للطباعة والنشر ص 134.

[4] النابغة الذبياني، ديوان النابغة، تحقيق محمد الطاهر بن عاشر الشركة الوطنية للنشر الجزائر د ط 1976 ص 76

في صدر الإسلام:

لقدر ارتبط الاغتراب في عصر الإسلام بالفتوحات الإسلامية التي تعد بداية للاغتراب الحقيقي على أرض الجزيرة العربية ، وقد أتاحت هذه الفتوحات للعديد من أنباء الجزيرة أن يتوجهوا شرقا وشمالا للعراق وفارس أو الشام ثم إلى شمال إفريقيا لنشر الدين الإسلامي في كل الأقطار طاعة الله عز و جل وابتغاء رضوانه[1]مما دفع هؤلاء الفاتحون والمجاهدون مفارقة أوطانهم، وأهاليهم ، فأحسوا بالغربة والاغتراب، فعبروا الشعراء منهم عن الشعور بالإحساس الرهيب والحنين إلى أوطانهم، وكان الإحساس بالاغتراب يزداد ويكبر حين يواجههم الموت وخير مثال على ذلك الأبيات التي قالها الشاعر أهلال بن الأشعر وهو في أرض اليمن على ظهر نافته يشعر بالشوق والحنين إلى الوطن ويخبرنا بأن ناقته تبادله نفس الشعور، فيقول :

أقول وقد جاوزت نعمى وناقتي .....تحن إلى جنبي فلج مع الفجر

سقى الله يا يا ناق البلاد التي بها .....هواك وإن عنا نأت سبل القطر

فما عن قلبي منا خفت النوى..... بنا عن مراعيها وكثبانها العفر

ولكن صرف الدهر فرق بيننا..... وبين الأداني والفتي غرض الدهر

فسقيا الصحراء إلا هالة مربعا.....وللوقي من منزل دمث متري

وسقيا رويا حيث حلت لمازن..... وأيامها الغر المحجلة الزهر[2]

وقد كان للفاتحين والمهاجرين أحاسيس مرهفة وحارقة إلى أوطانهم فكانت قلوبهم تتمزق اغتراباً ، فكان كل شيء أمامهم يذكرهم بأوطانهم وقد أنطقهم ذلك الحنين والشعور بالغربة شعرا عندما يتدفق حزنا لوعة على فراق الأوطان .

فقد نجد بعض الشعراء الذين رحلوا مع جيوش الفتح تضاعفت أحاسيسهم بالغربة حين يظهر لهم الموت حين المعركة، فتفيض أحاسيسهم شوقا و حنين، فنجد بعضا الأبيات التي قالها الربيب وهو يخرسان:

ألا ليت شعري هل أبتين ليلة ..... بجنب الفضا أرجى الخلاص النواجيا

1

2

فليت الفضا لم يقطع الركب عرضه .....وليت الفضا ماشي الركاب لياليا

فيا صاحبي رحلى دنا الموت فاحضرا ....برابية إني مقيم لياليا

وخطأ بأطراف الاسنة مضجعي .....وردا على عينى فضل ردانيا

غداة غدايا لهف نعني على غد ..... وإذا اد لجواعني واصبحت تأويا

تذكرت من يبكي على فلم أجد سوى السيف والرمح الردى باليا.

في الشعر الأموي:

قامت الدولة الأموية بعدة حروب وخلافات عديدة مع الإمام على فأخذت الخلافة بقوة وتحولت إلى الخلافة بالوراثة، فاتبعوا بهذا عن الدين الإسلامي وأصوله - فتعرض أهل البيت إلى الاضطهاد والتشرد والاغتراب فظهرت عدة أحزاب معارضة للدولة الأموية، وظهر لها مناصرون وشعراء يدافعون عنها، فنجد لكل حزب شاعر بدافع عنه فنجد الشاعر الكميت يدافع عن أهل البيت في قصائده المعروفة حيث يقول :

طربت وما شوق البيض أطرب ..... ولا لعبا مني وذو الشيب يلعب

ولكن إلى أهل الفضائل والنهي ....و خيرني حواء والخير يطلب

بني هاشم رهط النبي فاني ..... بهم ولهم أرض مرارا و اغضب[1]

فقد ترك الشاعر الغزل وتفرغ لحب بني هاشم فقط، فهو في دفاعه ومدحه لأهل البيت ثائر على بني أمية خاصة واليهم خالد القمري. حيث دعا الكميت أهل مر من خلال أشعاره أن يثور عليه ، فالشاعر في هاشمياته صادق العاطفة في حيه لأهل البيت والدفاع عنهم وعن حقهم في الخلافة حيث يقول :

نجاتكم غصباً تجوز أمورهم .....فلم أرغضبا مثله يتغضب

وجدنا لكم في آل حاميهم أية..... تأوي لها منا تقي ومعرب

قالوا: ورثناها أبانا وآمنا.....وما ورثتهم ذلك أم ولا أب[2].

[1] شوقي ضيف تاريخ الأدرب العربي العصر الاسلامي، دار المعارف القاهرة 1976 ....، ص 324

[2] مرجع نفسه

فهنا يتضح لنا حق الهاشميين المهضوم وهم الذين ينحدرون من سلالة فاطمة و علي في الخلافة وأن الأمويين قد اغتصبوا حقهم بالقوة .

في الشعر العباسي :شهد هذا العصر انتشار شاسعا للاغتراب فقد عرف ذروته فقد أصبح الناس يتخففون بالعقيدة الإسلامية، وابتعد الحكام عن الإسلام وتعاليمه، ولم يستعملوا أصول الدين في أحكامهم ، و بهذا اشتد الطمع وزال العدل وضعف الإيمان نتيجة لكل هذا ، انتشر الاغتراب وتفشى في المجتمع العباسي، وهذا من خلال كتاب الإشارات الالهيةلأبي حيان التوحيدي وكتاب غربة الإسلام لرحب الخليلي .

ولو تتبعنا شعر المتنبي لوجدناه في إحدى أشعاره مغتربا ، هاربا من واقع المجتمع الذي يعيش فيه فيقول :

أنا في أمة تداركها الله .....غريب كصالح في ثمود[1].

والمعري كان هو الآخر كان مغتربا وفاراً من مجتمعه الذي لا يقدره فضلاء القوم وأخيارهم ولا علمائهم فيقول في قصيدته :

أولوا الفضل في أوطانهم غرباء..... تشد وتنأى عنهم الغرباء[2].

وأكثر شيء جلي هو ألم أبو العلاء المعري اضطهاد، وظلم الساسة العباسين للرعية.وهذا ما جعله يقترب إذ يقول :

هل المقام فكم أعاشر أمة.....أمرت بغير صلاحها أمراؤها .

ظلموا الرعية واستجاروا كيدها .....و غدوا مصالحها وهم أجراؤها[3].

كما نجد ابن الرومي نجده يعاني الغربة ويصورها .بحنينه الكبير إلى الوطن فيقول :

بلد صحبتا به الشبيبة والصبا.....ولبست ثوب العيش وهو حديد

فإذا تمثل في الضمير رأيته .....وعليه أغصان الشباب تمتد.

[1]عمر بوقرورة : الاغتراب في الشعر المعاصر، ص 09.
[2]المرجع نفسه ص 09.
[3]نفس المرجع، ص 09

فهو يرتبط به ارتباطًا قويا لا فكاك منه، فيحزن ويتألم للفراق والبعد[1].

حـــــــديـــــثـــــا

<u>في الشعر الحديث</u> : ظاهرة الاغتراب زادت حدة في العصر الحديث نتيجة الحروب والدمار، فقد تفككت الروابط الروحية الإنسانية، وتخلل إنسان العصر الحديث من قيمة الدينية والتاريخية، وفقد الصلة التي تربطه بماضيه وعجز عن الموازنة بين التطور التكنولوجي التي تتحكم فيه وليس الأديان السماوية التي أصح لا يولى لها أهمية ولا اعتبار ونظرا لكل هذه الظروف والأسباب انتشرت ظاهرة الاغتراب وانشر في الوطن العربي والإسلامي، فقد نجد خير مثال على ذلك في العصر الحديث : جماعة الديوان - أبولو وأصحاب المهجر، لأنهم اغتربوا عن أوطانهم وعن مجتمعاتهم، وكذلك للغربة الى عاشوها والاضطهاد و الذي عاشوه من طرف الاستعمار فنجد عبد الرحمن شكري يتمنى الموت. لأنه يجد فيها الملاذ والخلاص من شقاء المجتمع وقسوته وكذا البؤس الذي عاشه في الحياة، ولعله يجد الهروب فيه الراحة من قسوة المجتمع الذي يعج بالذئاب، حيث يقول مخاطبا البحر في قصيدته:

وقفت على البحر الخضم عشية..... وللريح والعياب بوادر

بكيت بكاء البؤس لا يأس مثله..... وقلت : ويلي من سائح الموت خاطر

أجرني من ظلم الحياة ولومها .....فإن شقائي مثل لجك زاخر

أرى كفنا من نسيج موجك أبيض..... تمزقه الأرواح وهي توائر

وما العيش إلا للذئب تدمي نيويه..... وللعيش ناب قاتل وأظافر[2].

فالشاعر ذو نظرة حزينة ومتشائمة اتجاه الحياة من خلال مظاهر الطبيعة خاصة ما كان فيها عنيفا ومخيفا، وهو لا يجد سوى هذه المظاهر يلجأ إليها للتخفيف من ثورته وغضبه، لعله يدخل قليلا من الطمأنينة والراحة والأمل في نفشه حيث يقول أيضا قصيدته بعنوان "الريح" :

[1] خليل شرف الدين - ابن الرومي - الموسوعة الادبية الميسرة - منشورات دارمكتبةالهلال 1996 بيروت، ص 40.

[2] واصف أبو الشياب القديم والجديد في الشعر العربي الحديث دار النهضة العربية للطباعة بيروت، 1988، ص 115.

يا ريح هيجت قلبا شجره وأرى .....كما تهيجين عود الغاب بالنار

يا ليت نفسي ريح لفح لا فحها..... يظهر الكون من شر وأشرار

وتنثر الخير نثر البذر يحمله..... نسم الرياح على زهر وأثمار[1]

فالشاعر هنا يضفى على الريح فيخاطبها وكأنها إنسان يشكو إليه همومه و يفضي إليها بأسراره وسعادته وحزنه وأماله وأحلامه، لأنه يجب فيها المنفذ والمسلك الوحيد للتخفيف من ضغط المجتمع وقسوته وظلمه، فيدخل بذلك بعض الأمل والسعادة إلى نفسه الحزينة. أما الشاعر صلاح عبد الصبور فإنه يختار الانسحاب من المجتمع كي يتحرر من القيود التي تشعره بالعبودية، حيث يقول في قصيدة "مذكرات الصوفي بشر الحافي":

حين فقدنا الرضا

بما يريد القضا

لم تنزل الأمطار

لم تورق الأشجار

لم تلمع الأثمار

حين فقدنا الرضا

حين فقدنا الرضا.

حين فقدنا هدأت الجنب

تفجرت عيوننا بكا[2].

فمن خلال مذكرات بشر الحافي، يدين الشاعر المجتمع إدانته كاملة و يثور عليه لأنه يراه متعفنا قاسيا، مدمرا لنفسيته ، فيحاول الهروب إلى الأفق، إلى الألم، وقد نجد الشعراء أكثر تغني بالطبيعة والعاب ورموزه وذلك للتعبير عن

[1] واصف أبو الشياب القديم والجديد في الشعر العربي الحديث دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1988، ص 115.

[2] على محمود طه، ديوان على محمود طه - شرح تحقيق محمد نبيل طريقي ، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 2001 ص 90.

الأحاسيس بالاغتراب وكذلك نجد الحنين والشوق إلى الوطن من أبرز معالم الاغتراب في الشعر الحديث إذ يقول محمود طه:

شقي أجنته الدياجي السوادف..... سليب رقاد أرقته المخاوف

ترامي به ليل كأن سواده..... به الأرض غرقي والنجوم كواسف

إلى أين تمضى أيها التائه الخطى..... يساريك برق أو يباريك عاصف ؟

رأيتك في بحرالضلام كأنما .....إلى الشاطئ المجهول يدعوك هاتف

فهو يصور حالة ا..... البعيد عن وطنه الذي يعاني ألام الغربة والاغتراب فارقها الخوف الذي سلبه الأمن والطمأنينة، وأخذ الليل يقذفه ويرميه من مكان إلى آخر، فيمشى به إلى المجهول.

كنا نجد إيليا أبو ماضي يعاني مرارة الغربة والاغتراب فيصف تلك الأحاسيس والمشاعر في قصيدته المشهورة الطلاسم، إذ يقول :

جئت لا أعلم من أين، ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامى طريقا فمشيت

وسأبقى ماشيا إن شأت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقي ؟

لست ادري

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود

هل أنا قائدة نفسي حياتي أم مقود

أتمنى أنني أدرى ولكن .....

لست أدري[1].

فالمتمعن في تلك القصيدة يدرك مدى شعوره بالاغتراب والضياع والتشرد فهو لا يدري عن ذاته شيء يمشى ولا يريد إلى أين ، أهو حر أم مقيد و يتمنى

[1] إيليا أبو ماضي ديوان ايليا أبو ماضي ، تنقيح جورج شكور ، دار الفكر اللبناني – بيروت، ط1، 2004، ص 76- ص 94.

أنه لو يدري، ولكن في كل مقطع من القصيدة يردد عبارته لست أدري فهو بذلك لا يدري .

ويصور شاعر آخر آلامه وأحزانه من الاغتراب العاطفي، كما نجده -

عند محمود درويش الشاعر الفلسطيني الذي نحت الاغتراب عدة صور من ذلك الحب في ظروف سياسة، صعبة فحبه لوطن فلسطين والاقتتال من أجل هذا الوطن فلمس عذابه وتشرده لعدم استطاعته لتحرر من الاستعمار نجده يقول:

حنيني اليك ..... اغتراب.

ولقياك .....منفى[1]

فحبه هنا هو مصدر اغترابه فكلما كان شعوره بالحنين إليها ولقائها استحوذت على قلبه مشاعر الوحدة والضياع، فتأزم واغترب .

في الشعر المعاصر

لقد اعتبرت المدينة في هذا العصر، وعاء حضاري ، يستغله الشعراء للتعبير عن أحاسيسهم، وتصورات اغترابهم ، فالحنين والشوق، والقلق والصراع، والضياع والخوف كلها ألفاظ تستعمل في أشعارهم وقصائدهم نتيجة لتهدم القيم والعلاقات التي كانت تربط بين أفرا المجتمع يبعضهم البعض، وتصيبهم إحباطات ليتمثل الهروب مركز الشفاء و العلاج في أحضان ذلك الغاب.

كما نجد الاغتراب عند بعض الشعراء الذين كانوا يسكنون الأرياف واتجهوا نحو المدينة أي رحلوا إلى المدينة بحثا عن العلم والعمل ، فتكونت لديهم نظرية الاغتراب والاشتياق فقد نجد عبد المعطى الحجازي، وكذلك عبد الوهاب البياتي الذين اغتربا إلى العاصمة بغداد .

فليس هناك من شلك في أن الشاعر المغترب يشعر بغربة أليمة خاصة أول الأمر إذ لا أحد يهتم لأمره، وأحاسيسه، وهذا يعد بعد من أبعاد تجربة الشاعر الحزينة[2].

[1] محمود درويش، ديوان محمود درويش، دار العودة، بيروت 1994، ص 166.

[2] احسان عباسى ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهرة الفنية والمعنونة، دار العودة ، بيروت ، ط 3، ص 331

وهذا المغترب في بلاد الغربة أي في وطن غير وطنه يجد صعوبة التأقلم مع الوضع الجديد المعاش في تلك الوطن وتسيطر عليه آلام إحزان علامات البعد والحين والشوق إلى الوطن والأحباب والأهل ..

يقول عبد المعطى حجازي في قصيدة لا أحد:

رأيت نفسي أعبر الشارع عاري الجسد

أغض طرفي خاجلا من عورتي...

ثم أمده لا ستجدي إلتفاتا جابر

نظرة إشفاق على من أحد

فلا أجد

إذن

لو أنني لا قدر الله سجنت ثم عدت جائعا

يمنعى السؤال الكبرياء[1].

هذا يجسد آلام الشاعر النفسية فهو إلى جن أوجاع تصرف تصرفات مخلة بنظام مجتمعه الذي يعيش فيه، لا يأبه بأحد ولا بأخلاقهم، ورغم كل ذلك شعر بالوحدة، وتظهر هذه الوحدة والشعور بالانفراد في مظاهر للاغتراب النفسي، إذ يقول عبد المعطي حجاري في قصدته "أنا و المدينة" :

من أنت يا..... من أنت ؟

الحارس الغبي، لا يعي حكايتي

لقد طردت اليوم من غرفتي .

وصرت ضائعا بدون اسم[2].

فهو لا يدري من يكون - لا يعرف اسمه، فقد مكانه في الوجود، و صار ضائعا و تائها.

[1] أحمد عبد المعطي حجازي، ديوانى عبد المعطى حجازي ، دار العودة ، بيروت من ص 381-382.
[2] نفس المرجع ص 189.

كما نجد في الحنين إلى الوطن والشوق إليه النفيس لتلك الألأم من اغتراب حيث يقول بدر شاكر السياب في قصيدة غريب على الخليج حيث وصف معاناة الشاعر وهو بعيد عن وطنه وأهله أملا بالعودة إلى وطنه(العراق) فيقول :

الربح تلهث بالهجيرة ، كالجثام، على الأصيل .

وعلى القنوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل

زحم الخليج بهن مكتدحون جوا بو البحار

من كل حاف نصف عاري

وعلى الرمال على الخليج

جلس الغريب، بين البصر المصير في الخليج

صوت تفجر في فرارة نفسي الثكلى : عراق

كالمد يصعد - كالسحابة، كالدموع أي العيون

الريح تصرخ بي: عراق

والموج يقول لي : عراق ، عراق، ليس سوى عراق، عراق[1].

بدأ الشاعر قصيدته وهو متعب، ويظهر هذا التعب حوله، فالريح تلهث من الحر والتعب، وكأنها كابوس على صدره، وهذه الريح لا تستطيع أن تحرك أشرعة السفن فتعيده إلى بلاده، وترسو السفن على الشاطئ مستعدة لحمل البحارة

الذي يكدحون دائما لكسب العيش منهم الحافي ومنهم النصف العاري معه ثم يجلس الشاعر حائر أو يرسل بصر إلى الخليج يدمر أما له بالعودة إلى العراق فنشيجه قديدا يصعد من صدره على أمواج البحر، ومن هدير رغوة ومن الضجيج، خرج من صدر الشاعر كارتفاع موج البحر، وكالسحابة المرتفعة كالدموع التي تذرفها العيون.

ويعود الشاعر إلى الربح وهي تصرخ عراق، ويجعل الموت الذي يحمله الى وطنه يصبح باكيا عراق، ويصف بعده عن وطنه باكيا عراق ويصف بعده عن وطنه بمقدار اتساع البحر ليرسم مدى بعده عن وطنه .

[1] ديوان بدر شاكر السياب دار العودة ، بيروت ، دط، 1971، ص 477 -478

الفصل الثاني:
قراءة في مدونة شعراء التسعينيات
"شعر مصطفى الغماري"

1.الشاعر

أ. حياته:

هو مصطفى بن علي بن أحمد بن محمد الصالح بن محمد الغماري الحسن الجزائري من مواليد 16 نوفمبر 1948 ببلدية برج أخريص بسور الغزلان، تلقى تعليمه الأول على يد أبيه محمد الغماري الذي زاول مهنة تعليم القرآن الكريم منذ تخرجه من زاوية بوجليل على يد السيد محمد أبي القاسم أبو جليلي الحسيني، ثم انتقل إلى زاوية بالعموري الذي يشرف عليها السيد محمد نذيري، بعدها انتقل إلى المعهد الإسلامي بحسين داي سنة 1965، مكث فيه سنتين حصل بعدها على منحة وزارة الأوقاف المملكة الليبية سابقا بالجامعة الإسلامية بمدينة البيضاء التي كانت معقلا من معاقل الطريقة السنوسية وهي طريقة تربوية علمية جهادية رسالة حملت لواء الجهاد في مواجهة الطغيان الإيطالي، حصل بعد سنتين على الثانوية العامة من معهد البحوث.

ثم أكمل دراسته بجامعة الجزائر، فتخرج منها سنة 1972 حيث حصل على ليسانس الأدب من دائرة اللغة والأدب العربي، ليعود إليها بعد سنتين من الخدمة الوطنية معيدًا فأستاذًا مساعدًا بعد حصوله على الماجستير سنة 1984[1].

يعتبر الغماري من شعراء التحدي والعقيدة الإسلامية والمذهب الذي اختاره الإسلامية لا يخرج عنها ولا يكاد يغار عليها وهو من أجل ذلك يعمل معاملة في هدم كل ما سواه ومن هذا المنطلق نستطيع أن نلقبه بشاعر الإسلام المعاصر.

ب. نتاجه الشعري :

يعد مصطفى محمد الغماري من أبرز الشعراء المعاصرين الذي أنجبتهم أرض الجزائر، تجسد شعره في مجموعته الشعرية التي أدرجت ضمن مجموعة هائلة من

[1]جريدة الشروق الثقافي متابعات العدد 20 الأسبوع من 09 - 16 ديسمبر 1993، ص05

الدواوين الشعرية والتي ظهرت على التوالي وفي أوقات متقاربة جدًا ذات كمية وكيفية لا بأس بها

هذا مقارنة مع الظرف الزمني الوجيز الذي استغرقه الغماري في هذا الإنتاج، ولقد ارتأينا أن نعرض هذه الدواوين عرضا تصاعديا حسب تواريخ صدورها في جعبة المجموعة الأولى، نجد في البداية: "أسرار الغربة" الذي طبع عام 1978 م، إضافة أغنيات الورد والنار والتي صدرت عام 1980، ثم قصائد مجاهدة وهي عبارة عن مخطوطة أصدرت عام 1983[1].

أما في المجموعة الثانية فإننا نجد:

"خضراء تشرق من طهران" هذا الديوان طبع حاله حال الدواوين الأخرى "قراءة في زمن الجهاد"، "لم يقتلوك"، "أسرار الغربة" يعد أول مجموعة شعرية أو بالأحرى أول ديوان من نوع الحجم الصغير تم إصداره من طرف الشاعر، هذا الديوان الذي ضمّ بين صفحاته مئة وسبعين صفحة وعلى اثنين وثلاثين قصيدة تحتوي كل واحدة منها على أربعين بيتًا.

المحور الوحيد في هذا الديوان تدور في محور الدين الإسلامي المتمثل في رسالته الإنسانية وشريعته الخالدة ومآسي حاضرة وتطلعات مستقبلية.

فالغماري كان متشبعًا بإحساس فياض وعارم ونشوة صوفية عميقة وإذا ما تصفحنا محتواه الذي نجد في الصفحات الأولى منه قصيدة "ثورة الإيمان" التي تدل دلالة واضحة وعميقة على تصوره الخاص لوظيفة الشعر والمجال الذي يراه جديرا بأن يجاهد فيه:

أَحَـارِبُ فِـــــي دِينِي وَفِكْرِي
وَمَذْهَبِي
وَأَرْمِي بِزُورِ القَوْلِ فِـــــي كُلِّ
مَشْعَب
وَمَا أَنَا إلاَّ غُصة فِـي حُلُوقِهِم

[1]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص11.

وَمَشْـرجَة الأقْدَار فِـــــي صَـدْرِ مُذْنِب[1]

الغماري يبدو صاحب رسالة تلك المتجسدة في خدمة الإسلام كونه يمثل اسمى درجات الإنسانية المتعمقة في المياه اليومية بكل أبعادها الاجتماعية والسياسية والفكرية تلك الرسالة المستمدة والمستنبطة من الشريعة الإسلامية التي طالما ذاب فيها عشقا متولها بها تولها صوفيا وهذا ما جاء فيها في قصيدة " أغنية اللهب الرّحيم"

أنا فيك يا بِنت السَّــماء مُســافر وتْـــــري
وفِكْـرِي
مُتَوثَب فِـــــي الدَّربِ إعْصـارًا عَلى أَشْـلاءِ دَهـري
فِي ظِلّـك القُـدُسِـــي لَمْلَمْـت الرُؤَى وَهَتَكْـت ستري
وَعلـــــى حَنَاياك اخضِـرار شَـبَّ فِيه لَهِيبُ عُمْـرِي[2]

كما أن نفس الغماري متشبعة بالحب، هي التي تظهره في كثير من الأحيان متصوفا يذوب عشقا في ذاته السلامية فأصبحت تمثل كل شيء في كيانه وتفكيره، لا تعرف حياته الاستقرار مسلكا إلا بجذوره وإيمانه العميق يتجسد أساسا في القرآن الكريم، مما جعل منه داعيا إسلاميا في بعض الأحيان متوجها بأساليب الدعوية إلى المفكرين ليستمدوا أفكارهم من القرآن الكريم، وهذا ما جاء في قصيدته التي خاطب بها بابليو نيرودا في قصيدة "لو قرأت كتابي" يقول:

إيـــه نير ودا لَو قرأت كِتَابِـي
لَرَأَيْتَ الخُلُـود بِسُقيك نـهـلا
لَو قرأت القُرآن مَـــا كُنت إلا ثَائِـر
فِـي الوُجُود يُنْشِـد عَدْلا[3]

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص07
[2] مصطفى محمد الغماري: المصدر السابق، ص149.
[3] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص46-47.

ومن خلال مفهومه الإسلامي يعرف أن الغماري من خلال أشعاره صاحب رسالة عالمية، فالإسلام عنده لا يتموضع في رقعة جغرافية معينة ولا في فئة شعبية محددة وإنما الإسلام عنده يتجاوز الحدود الإقليمية والقطرية والقارية فهو متحمس ومتفاعل مع القضايا الإسلامية حيث ما كانت، سواء في الفلبين أو الهند أو القدس أو لباكستان وغيره من البلدان.

أما فيما يخص قصائده صوفية الوجود والثورة، أغنية اللهب الرحيم وأيضا قصيدة لن تموت الحقيقة ثم أتون، هذه الأعمال الشعرية سار فيها جنبا إلى جنب مع السلام الذي يحث على فرض الظلم والاضطهاد والقهر متعاطفا مع المسلمين في مواقفهم الثورية ضد المحتل الغاصب.

ثم أن روح الغماري الثائرة في وجه أولائك الذين تنملوا عن الإسلام وتفاضلوا عن تعاليمه، ولم يدركوا منه غير القشور، ساعدته على العمل جاهدًا من أجل القضاء على انحراف السلوكية والخاصة الصادرة من طرف الحكام الذين يدّعون الزعامة الروحية أو يتظاهروا بالإسلام لاستيلاء محكومتيهم، وهذا يتجسد في قصيدة "أغنية اللهب الرحيم" التي أخذنا منها هذا المقطع.

لاَ للذينَ مِن الأغاني الحُمر صَـاغوا كُل
عَهْر
لاَ للذين تسكعوا رهفا ومَا حَلِمُوا بِنَصْر
لاَ للذينَ تململوا شَبقا يَضَح بكل قصر
فِي كُـل غَـانِيــة يَفُوح الْجِنْس لِلْمِلـك
الأَغَر[1]

وبهذا يكون الغماري قد وقف تأمل وشموخ ومتأصلة على جيل العقيدة الأشم ليضرب في عمق الصراع النضالي، فمن بين التي جاءت في ديوانه "قراءة في أية السيف" نجد قصيدة "لن ينام الحق"[2].

لَن ينام الحق فِي جُرح بِلادي...
لَن يَنَام

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص148.
[2] مصطفى محمد الغماري: قراءة في أية السيف، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مطبعة أحمد زبانة، الجزائر، دط، 1983، ص23.

مِن وَرَاء الصَمْت
أَتْلُو صُورة الزُوَام
مَهْرا إلاهيا
أَصـــنع الشَـــرق أن جاءت عن الدَرب
المَشَارق[1]

وهناك دواوين غير المطبوعة، وقد نظمها في فترة ما بين 1988 – 1991 وهي: "فيض من فيض، حب لن يموت، يا خيل الله اركبي، حصار".

الأثار الأخرى:

لن يقتصر نشاط الشاعر على الجانب الشعري فحسب بل تعداه إلى الجانب الفكري، حيث استطاع أن يحقق مجموعة من الكتب في علم التوحيد والتصوف وعلم اللغة وهي كما يلي:

- تحقيق شرح أم البراهين في علم الكلام لأبي عبد الله السنوسي التلمساني 1989.
- تحقيق المدخل إلى علم العقائد نفس المؤلف.
- تحقيق الرسائل الكبرى في التصوف الإسلامي، لأبي عبد الله محمد ابن عباد الشعري الرندي الأندلسي القاسي وهو أعظم مريدي المدرسة الشادلية في التصوف.
- تحقيق كتاب، المحاكاة بين أبي حيان وزمخشري وابن عطية في إعراب القرآن، للإمام يحي شاوي الملياني وهو كتاب يدل على فضل علمائنا القدامى وتفوقهم ولا سيما في مجال الدرس اللغوي...[2]

1.مظاهر الاغتراب في شعر الغماري:

الثورة على الواقع

عرف الشعر العربي المعاصر ظاهرة الرفض، وذلك منذ أن بدأت بعض الأفكار الغربية تتسلل إلى المجتمعات العربية، حيث انعكست على النص الشعري وأثرت فيه، فنتج عن ذلك شعر رافض ونابذ، وكذا تأثر على القيم المستوردة الدخيلة

[1] المصدر نفسه، ص23.
[2] محمد موسولي، محمد الغماري، شاعر الإسلام، رسالة دكتوراه غير منشورة، ط1، تلمسان، 2002، ص26.

التي تفشت في المجتمع، هذا ما أدى بالشعراء المسلمين إلى إحساسهم بالاغتراب في مجتمعهم، وبعد الاندماج مع أفراده، وقع واقع يرفض شرع الله ويفسح المجال لشيوع أنظمة وأفكار لا تمت للمجتمع بصلة، فجاء شعرهم رافضا للواقع بكل ما فيه، ساعيا إلى تحرير المجتمع من قيود الضياع والهزيمة، والوصول به إلى آفاق العقيدة الإسلامية فمصطفى محمد الغماري يدعو من خلال أشعاره إلى الثورة على الواقع وتغيير مسار حياة المسلمين بالرجوع إلى الإسلام.

فالغماري يريد أن يتجاوز حتى حدود ذاته، فهو ثائر ساخط متمرد، رافض للواقع متطلع دائما إلى غد أفضل لنفسه ولإخوته المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهذه العاطفة الجياشة تشتد وهجا تجاه تلك الأقطار التي يكون فيها أقلية مضطهدة.

فهو متعاطف مع المسلمين في مواقفهم الثورية، رافض كل أنواع الظلم والقهر، الاضطهاد والتبعية، كما يبدو ذلك جليا في عدد قصائده، حيث يقول في قصيدة "إلى صوفية الوجه والثورة".

تَواثب الرفض ..... طَوفانا مِن
الغَضَبِ
يَا غُربَة الُّوح فِــي أَبْعَادِ مُغتَــرِب
هَيَّا ازرعيني مدى يخضل فِــي
رهقِي
وَثَورة فِــي دُرُوبِ القهــر وَالغَلب
دَمِــي عَلـى الزمَن المَجْنون أُغنيـة
تَلوكُهَا الريح فِـي الأَبْعَادِ والحِقَــبِ
قَد شرشرت فِي دمي الظَلْمَاء فِي
هَدبِي[1]

وهنا من كل ما سبق نجد بأن التحدي والثورة صفتان بارزتان في شعر الغماري وخاصيتان أساسيتان في نفسه، فنجده يتحسر ويكفر بالظلام والقهر والظلم المنتشر

[1]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص125.

في وطنه وفي الأمة الإسلامية بأمتها، حيث يقول في قصيدة "أسرار الغربة" من بحر المتدارك:

لَولاَ الظَلام الوَغْـــــد يُر هِقُ خطوه... لَوْلاَ القيُود
لاَ تَنْشَال فِـــي ظَمَأ المَدَى نَارًا تُحَاصِرنـــا الوُعُـود
فأَضُمــها وَرْدَا إليـها وَعِشْـقَا .... لاَ أَحِيـد
وَأَقــول يَــا نَار اهْطِلِــي أنا فِي رِضَاك إذا سَعِيـد
مَــا النَّـــار إلا مَن تَشْــرسُ فِـــي لَهَاتِك يَا نَشِيد
مَـا النَّــار إلا فِي حَنَـايـا الـدَرب ... يَلْجُمـه الوَعِيد[1]

ونده ثائرا رافضا للواقع الذي آلت إليه أمتنا الإسلامية حيث يقول في قصيدة "أسرار الغربة" من بحر المتدارك:

وَيَظَلُ يَرْكُض فِي مَدا الزِيف... والصَمت البلِيد
سَبَق اللَيَالِي الحُمْر عُقبا ه انتِحار ... أو جُمُود
مَهما تحاصره المَرا يا أو تحاصره الهُنود
سَبَق الرِياح السُود يا صَرعَاه... قَيْح أَو صَدِيد[2]

فالعقيدة الإسلامية هي جهاد ونضال الشاعر، هي ثورته الحقيقية إذ أنه لا يعتبرها موقفا شعريا وفكريا فحسب، ومن ذلك فإن الغماري دافع عن العقيدة الإسلامية لأنها عقيدة ذات فلسفة شاملة للحياة والكون، فهي لا تقف عند حدود الزمان والمكان الضيقين.

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص162.
[2] المصدر نفيه، ص163.

ومن هذا فقد كان الصراع المرير والثائر الذي نلمسه في كل الأعمال الشعرية التي يكتبها الغماري خاصة في ديوان أسرار الغربة.

ومن بين أحسن القصائد المعبرة، قصيدة "أسرار الغربة" من بحر المتقارب حيث يقول:

يَا رَاكِزِين عَلَى الدِمَا ء وُجُودُهُم ... تَعِس الوُجود
يَـا شَارِبِين من البَرَاء ة .. مِن دَمي .. قَطَع الوريد
مَّن بيعكم شَر فِي تَلذْلكم .. وَتَخْضَّر البَـرود
وَبِضَحْكـة صَفْرَاء يز جِيها لَكم شَره المَرِيد
تَتنافخون ... وَتَحْسِبُو ن الأَرض فِي يَدِكم تَميد
سَخِرت مَرَايا العَصر حِينَكُم لو عَلِمتم يَا قُرُود..[1]

فالعقيدة الإسلامية عند الغماري هي الماضي بعزه ومجده، والحاضر بشوقه وتطلعه والآتي بحلمه وانتظاره، فهو مرتبط أشد الارتباط بمبدئه ويتوقع كل يوم عودة الخضر وعودة الخضراء، حيث يقول في قصيدة "لا أملك إياك" من بحر الرجز حيث يقول:

وَجهك الضَوْئِي يَـا خَضْرَاء أَهوى عِطْره
أَيُّ عِشْق فِـي مَدى عَيْنَيك فَأَرْوي شِعره
إنَّ مَن يَهْوَاك .يَا خَضْرَاء .لاَ يَملك أَمْره.[2]

و الغماري يبدو رافضا لكل ما يسيئ للعقيدة الإسلامية و للأمة الإسلامية لذلك نجده ثائرا لا يستسلم أبدا فموقفه هجومي دفاعي على أعداء الإسلام، و دفاع على قيم الإسلام الخالدة و ما بقي بينهما تفاصيل أحداث و قيم جمالية و فكرية ، فالمواقف

[1] المصدر نفسه، ص139.
[2] مصطفة محمد الغماري، المرجع السابق، ص136.

الهجومية هي التي يعني بها النيل من خصومه، بفضح أساليبهم المختلفة ، أما الموقف الدفاعي فهو الذي يرد به على خصومه و ينقض بها أقاويلهم و مزاعيمهم.

و كما نتج عن المفرقات الأخلاقية و الاجتماعية التي اصطدم بها الغماري في مجتمعه نزعة صوفية حيث يعرف الطاهر يحياوي الصوفية بقوله : " إن الغماري ذو نزعة صوفية .... من حيث مالكة نفسية " لازمة لمن وجدت في طبائعهم ، وهي نزعة روحية ذلك العالم الديني الذي أقل ما يقال فيه أنه عالم الطهر و السخاء .... و ليست هي بالطابع العام يستغرق ملامحه النفسية و الفكرية[3].

فقد سيطر على الفكر و شعور الغماري ذلك الواقع المزري الذي يعيش فيه أشكال متعددة من الصراعات و من المتناقضات ، و بذلك لجأ إلى عالم تتسامى من خلاله عن هذا الواقع ، فصوفية الغماري تعتبر حلا لتعاسة الواقع و بؤس الحياة من خلال فعاليات الواقع و رفضه و مجاهدته ، وهي نزعة جعلت منه ثورة متفجرة ناقمة على الواقع الفاسد، وعلى القيم المزيفة التي يراها في مجتمعه تتنافى مع شخصيته و ضميره ، ومن ثم تفرغ الغماري إلى العقيدة الإسلامية و أعلن من خلالها ثورته الجارفة على الواقع.

فصوفيته ليست صوفية حلولية، إنما هي من النوع التحدي ، حيث يقول في قصيدة (أنا المجنون يا ليلى) :

أنا المقرور يا ليلى .....فهل واحة بكر
أنا الظمآن يا ليلى .... وأنت الماء و الجمر
شهودي في الهوى شوق وأنت و حبنا الطهر
وقرآن الهوى أبدا حدائق في دمي خضر

فليلى عند الغماري هي العقيدة الإسلامية وصوفيته ثورة وجهاد، فغياب ليلى جعله مغتربا متشوقا لرؤية العقيدة الإسلامية تسترجع مكانتها في المجتمعات الإسلامية، فأصبح يجد سعادته في العالم الصوفي الذي اختاره بديلا عن عالمه.

وهنا شهر الغماري يخدم العقيدة الإسلامية، ويقف في وجه كل من يسعى إلى تدنيسها والحط من قيمتها حيث يقول الغماري: "إن الأدب الإسلامي المعاصر الذي نريده أدب رسالة مقاتلة، ودعوة مجاهدة"[1].

ولعل قصيدة "ثورة الإيمان" التي افتتح بها الغماري ديوانه الأول أسرار الغربة أحسن مثال تستطيع من خلاله أن نبين التصور الخاص لوظيفة الشعر حيث يرى بأنه ينبغي أن يجاهد من خلاله، مدافعا باعتباره الرسالة الإنسانية التي يحيا من أجلها حيث يقول في قصيدة "ثورة الإيمان" من بحر الطويل.

أَحَارب في دِينِي وَفِكري وَمَذْهَبِي
وَأَرْمِي بُذور القَول فِي كُل مَشْعَب
وَمَا أَنَـا إلاَ غصَة فِـي حُلُوقِهِم
وَحَشْرَجَة الأقدَار فِـي صَدر مُذْنب
وَمَـا أَنَا إلاَّ النَّـار تَشْوِي قُلُوبهِم
وَإلاَّ الضحـى يرمي بِأَشْلاء غهيب[2]

ويعلن الغماري ثورته على القيادات العربية التي تحولت إلى غول سمسار، هذه القيادات التي اغتالت أهم مقومات الأمة العربية الإسلامية، ومست حريتها وكرامتها وقداستها، وكل ما يكون شخصية هذه الأمة، حيث يقول في قصيدة البحر المتدارك:

أيّها الطَيْر الذَبيح
بِسُيُوف عَرَبِيـة
مُفعمات بالفَحِيح
بالوُعُود الكَرتَرِية

فأصبحت لغة الإسلام لعبة بيد تلك القيادات الحقيرة التي حاولت ضرب الأمة العربية في عمق قوتها. فهذه الطامة الكبرى، هذه اللعنة الشمطاء، صارت قوة

[1] الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عن الشاعر مصطفى محمود الغماري، ص132.
[2] مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، ص107.

ضاربة، وتحولت إلى سلطان رهيب ينهش جسد الأمة العربية وبقتالها في أعز رجالها، ويقول في قصيدة بحر الكامل:

لغَة السَلام حِكاية
تَـروي بِـهـا خُـور
اللِئام[1]

ومن كل هذا نجد أن ثورة الشاعر على الأنظمة العربية ثورة واعية متفتحة على حقائق الواقع ونتائج الممارسات المفلسة، هذه الممارسات العملية التي تشكلت في احتجاجات وندوات ومؤتمرات ولائحات كلامية سخيفة، ضاربة عرض الحائط التزاماتها ومسؤولياتها المنوطة بها، وبالتالي أدت إلى سقوط القيم الإسلامية والاعتبارات المقدسة للأمة الإسلامية العظيمة أمة الإسلام والرجال، حيث يقول في قصيدة "ثورة الإيمان" من بحر البسيط:

فَإن جَاهَزوني بِالعَدَاء ... فَإنّنِي
آيةُ الله حِين كَيد الضَلاَلَة أَبْرَأ
وَمَـا ذَّاك ... وَالـثَـورات فَـتـح
القُدس
جَديدة لأَبْواب العُقول ... وَمَبْدَأ
شُيوعية حَمراء، تَشْفِي
غَليلهم
وَلَكِنَّها تَدْمِي القُلوب وَتَظْمَىء[2]

فالغماري هنا يغترب جراء ما يحدث فحين كان حكام العرب السفهاء يقضون أوقاتهم قي قصور الخمور ويتبعون نزواتهم، كان اليهود يتقدمون خطوات سريعة في البقاع المقدسة ويعيشون فسادا ورجسا في مقدسات الإسلام، إنها المأساة الرهيبة في كل الوطن العربي وهنا يقول الغماري في قصيدة "أزهار الحنين" من بحر الوافر:

ضَمْأَن... تَحْفُر فِي دَمي
الأَصْداء

[1] المصدر نفسه، ص 126.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 08-09

يَاطهر عِيسى ... يَا رِمَال مُحمد
مِن هذبها ... تَتَبرعَم الأنْداء
أضلال قُدسي ... آهْ شَوقي
ضَاميء[1]!

وبهذا رفض مصطفى الغماري كل نفاق وعمالة وخداع، وثار ضد هؤلاء الذين اتخذوا من الشعارات والمبادئ الثورية قناعا يختفون وراءه من أجل تحقيق أغراضهم الشخصية هؤلاء يحاولون حذف الإسلام كمفهوم من مقومات الأمة العربية وذلك انصياعا لرغبات الغرب الطامع لتفكيك الأمة العربية الإسلامية، حيث يقول الطاهر يحياوي في هذا الشأن: "وهكذا يتضح على طول الخط الجهادي الانتمائي الرافض للشاعر الغماري... أنه كفر بالوحدة العربية المزيفة... وأنه أثار على كل انهزام... فكان بشعره سيفا على كل الانهزاميين "التقدميين" و "القوميين" و "الطافيين"[2]

وغالبا ما نجد شاعر الجهاد الإسلامي مصطفى محمد الغماري ثائرا على الواقع الذي تعيشه الأمة الإسلامية، فهو واقع الزيف والأنانية، وواقع الخضوع والانتحار، ومن هنا فالغماري شاعر رافض لقيم عصره والتي تتناقض تماما مع ضميره وفكره، ومن هنا فثورته تعد مواجهة حقيقية وعنيفة وبالتالي فهو مجاهد مدافع عن العقيدة الإسلامية مستجير بالدين الحنيف، ويستمد منه كل قوته، حتى يكون له عونا وسندا في ثورته وفي جهاده الإسلامي، حيث يقول في قصيدته "شكوى" من بحر الرجز:

أَمولاَي ... الهَوَى يَقْتَا
يَقْتَات منه كَبِدِي وَمن
مُقْلِي
وَمَا لِي فِي الهَوى أَمَل
سِواكمْ ... أَنْتُم أَمَلِي[3]!

إذن فالغماري شاعر مسلم مجاهد ذو نزعة إسلامية، هذه النزعة هي التي دفعت به إلى ذلك الموقف الثائر ضد كل المفاسد والرذائل، وهو مقتنع بموقفه هذا، وهو

[1] المصدر نفسه، ص 42.
[2] الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص 130.
[3] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 122 – 123.

شاعر الجهاد لأنه ثائر مكافح دائما وأبدا، رافض لكل لصيقة بالإسلام ولكل سياسة لا تمت للإسلام بصلة، لأنه يرفض كل ما يرفضه الإسلام فهو شاعر الجهاد الإسلامي بدون منازع.

حيث يقول في قصيدة "إلى صوفية الوجه والثورة" من بحر البسيط:

هِي الغَريبة في أوطانها ... وأنا ...
أَنا القتِيل فَما خَوفي من النَشَب
لَمْلَمْت حُزْمة أَشْعَاري ... وَقُلتُ لَهَا
ثَورِي عَلَى الدَرْبِ ... بَثَى النار فِي الحَطَبِ
وَسَافري ... فَكِلانَا زَادَهُ أَلَم[1]

ففي قوله "الغريبة في أوطانها" فيعني بها العقيدة الإسلامية فبالرغم من وجودها بين أهلها، فهي غريبة لأنهم يطبقونها ولا يعلمون بها والشاعر لأنه شاعرها فهو قتيل، إذا لا وجود له إلا بوجودها ومن هنا كانت غربة الشاعر والعقيدة ومن هنا حدد الشاعر موقفه ومن كل هذا نستنتج اغتراب الغماري، إذن فهو مغترب باغتراب هذه العقيدة، وثورته هي على الواقع بكل ما فيه من متناقضات، حيث يقول في القصيدة نفسها:

تواثِبُ الرفض ... طُوفانا منَ الغَضَبِ
يَا غربة الرُوح فِي أبعاد مُغْترب
هَيَّا أزْرعينيمدَى يَخْضل فِي رَهَقي
وَثَورة فِي دُرُوبِ القَهر وَالغَلب[2]

والرفض الانتمائي يتضح جليا من خلال أشعار الغماري، فهو شاعر الإسلام المجاهد المدافع عن العقيدة الإسلامية الثائر ضد كل من يحاول النيل من الإسلام،

[1] المصدر نفسه، ص 126.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 125.

إذ يقول الطاهر يحياوي عن الغماري: "إنه يعيش أحداث القرن العشرين وبمقتضياته، فحدد موقفه دونما تردد أو تشكك، فأوقف جهاده عن الإسلام، واستمات في الدفاع عنه، وبذلك صارت العقيدة الإسلامية حياة متكاملة زاخرة في شعره، حياة ممتدة الأبعاد في كونه الفني والنفسي متغلغلة في روحه ووعيه[1].

فكانت صوفيته محاولة للتخلص من الواقع المزري الذي يعيشه مجتمعه، فيبدو الغماري متمردا على الواقع الفاسد الذي يتسبب في خلقه أعداء الإسلام، فجاهد بأشعاره في سبيل إعلاء كلمة الحق ونصرة الإسلام والمسلمين.

الهروب من الواقع

يعد الهروب من الواقع نوعا من الرفض للواقع والثورة عليه، وهذا ناتج عن حجم الظلال والفساد الطاغيين والمتفشيان في البلاد العربية الإسلامية، إنه رفض ساكن في ضمير الشاعر الإسلامي، فهو يرفض البنية السياسية والفكرية التي يعيشها في مجتمعه، والتي تخضع لسلطة الحكام.

وهذا الرفض ليس انطواء على الذات بل هو سبيل إلى اغتراب روحي ينتج عنه انتماء مختلف، وهنا تمكن الإيجابية في الاغتراب حيث أن الشاعر لا يستطيع أن يرفض واقعه إلا إذا كان لديه واقعا آخر بديلا، فهو لا يشعر بالتآلف مع الواقع الذي يقهر ويظلمه وهذا ما يولد مشاكل بين الشاعر وبين الحكام فاغتراب الشاعر هنا إيجابي لأن هذا الرفض والهروب يجعله يقدم رؤى فكرية مختلفة، وذلك بالرجوع إلى الذاكرة كي يقدم من خلالها رجوعه إليها ما يمكن أن يساعده على مواجهة ما يعانيه في الواقع، خلال تفاعله مع الذاكرة فإنه يتفاعل مع النماذج المعادلة القوية التي يقدمها.

والشاعر برجوعه إلى الذاكرة فإنه يعتمد كثيرا على الجانب الروحي الذي استمد منه القوة والغرة التي تبرز كينونته ووجوده، وهي الميزة التي لا توجد في واقع الشاعر وبهذا نجد الشاعر قد تحول من رافض سلبي إلى مغترب اغترابا إيجابيا، فيعيد الأمور إلى أماكنها.

[1] الطاهر يحياوي: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص 64.

وتظهر ملامح الرفض في شعر الغماري في إيقاعاته العديدة المتفجرة التي توحي بالرفض لهذا الواقع المحيط سياسيا، ففي قصيدته "عندما توقظني الذكرى" تستيقظ الغرة في نفسه وتستولي عليه حنايا الذاكرة التاريخية حيث يقول من بحر الهجز:

أَنَا اللّهَبُ الذي تنْثال ... تُورق منه أمطار
أَنَا الماضي عَلى عَينَيك مُزدهر ... أنا
النَار
أَنَا الدرب الذي طَالت به الشَكوى... أنا
النَار[1]

فطبيعي هنا أن ترد اللغة قوية، تتوافق مع نظراته للواقع المرفوض، حيث يقول الغماري: "إن الشعر تعامل مع اللغة، يسمو ويتألق بمقدار سمو وتوهج المعاناة لدى الشاعر الأصلي، وبمقدار عمق التجربة وأصالتها في غير ضبابية مفتعلة[2].

فالشاعر في حالة انفصال واختناق وغضب نتيجة الشعور بالاغتراب في زمن الردة.

إلى جانب الاغتراب الإيجابي المتمثل في رفض الواقع الذي يعتبر هروبا منه نجد اغترابا سلبيا متمثلا في الهروب السلبي من الواقع، حيث يكثر هذا النوع عند الشعراء المحدثين نتيجة الشعور الحاد بالاغتراب والوحدة والعذاب، يقول الغماري في قصيدته "رباعيات وتر جريح" من بحر الكامل:

الوب الوب ... تطويني مَسافتيِ وَأبعَادي
وأَرْقُب فِي حنايا رِحلة خَضْراء حِيلاَدي
تَفَشَت فِي دَمي يَا آم... قَافية الهَوى الصَادق
وَغَنَّى الوَجد ...فَانسَفَحت على نَجْوَاه أَوْرَادي
حَنَانك يَا إله الكَون ... بُرْعُم فِي دَمِي شَفَقا
وَأَمْطَر فِي دَمِي بُعد بِبوح الوَجد مُحْتَرِقا[3]

[1]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 167.
[2]المصدر نفسه، ص 08.
[3]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 113 – 114.

إنه الهروب السلبي من الواقع، ناتج عن الإحساس المفرط بالخيبة والانهزام والإحباط من الفراغ الثقيل الذي يكبس على صدر الشاعر، فالأيام تسير ببطء، ثقيلة ثقل الجبال، والفراغ يحاصره من كل جانب ويطبق على أنفاسه، فيهرب من جحيم الواقع الأليم بالثرثرة الفارغة والحديث البليد، كما أن الشاعر قد يهرب بالذاكرة إلى الماضي، ينتقي منها شخصيات بارزة فيها لمقارنتها بواقعه المرير، فيكشف النقاب عنا فيه من زيف.

حيث يقول عبد الحميد هيمة: "إن المغترب يحاور الشخصية التراثية كنوع من الاغتراب وشعور بالاستلاب مما يعطي للنص طابعا فنيا مكثفا"[1].

ويلجأ الشاعر إلى التاريخ الإسلامي يستمد منه رموزه للهروب من الواقع المنحط والآلام والهزائم التي يعاني منها، حيث برز الفرق بين الماضي والحاضر، فينفصل الشاعر عن واقعه ليتصل بالماضي الذي يجد فيه الملاذ المناسب، حيث يقول الغماري في "الشوق الآتي" من بحر الكامل:

يَا مُبْحِرا بِهُمومه
بِرَبَابَة سُكْرى
النَشِيد
إنّي لأَلمَحُ فِي
جَبِينك
طَارقا ... وَابن
الوَلِيد[2]

وتختلط الأبعاد الزمنية عند الغماري، وذلك بسبب رفضه الكلي لواقعه، وإيحائه لماضي الأمة الإسلامية في قمة أيامها، فيصل بذلك الماضي بدل الحاضر، ويحلم بمستقبل زاهر تكون الكلمة فيه العقيدة الإسلامية وحدها مثلما كان سائدا في الماضي، فيقول من بحر الكامل بقصيدته "عودة الخضر"

[1] عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر شعر السبعينات نموذجا 1985، ص 29.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 131.

وأنا الرَّبيع سرى ... فكان محمد
يَسْقي الوُجود ... حَلاوة الإيمان
عَانقْت فِيك أَخا وَرَعت مَنَاسكا
وَهَصَرت ... نِعَمْ المُجْتَنِي وَالجَاني[1]

والشاعر برجوعه إلى الماضي يستخدم الشخصيات التاريخية ليواجه بها الأحداث الراهنة، ليكشف الواقع وما يحتويه من زيف، وخداع، وذلك عن طريق المقارنة بالماضي، فتنصب كل أحداث الماضي على اللحظة الراهنة، فيحس الشاعر بعدم جدوى مخاطبة معاصريه.

وبالتالي يكون الماضي بالنسبة للغماري معادلا موضوعيا، فيقول في قصيدة "لو قرأت كتابي" من بحر الكامل:

لَو قَرأت القرآن مَا كنت إلا
ثَائرا
فِـي الوُجـود ... يُنشـد عَدلا
وَكِتـابي العَظيـم تَتَبـوع يُسـر
ضَلَّ من يَجهل الحَقيقة ...
ضَـلا[2]

فالشاعر دوما متمسك بموقفه، فهو يدافع عن العقيدة الإسلامية في عصره لأن حاضره لا يقوم على أساس إسلامي صحيح، فهو رافض لكل ما لا يقوم على الإسلام، وذلك من خلال دفاع عن الماضي، أي تاريخ الأمة الإسلامية المجيد، فالغماري إذا ينطلق من الماضي باعتباره القدوة الحسنة لأي محاولة لإصلاح المجتمع، حيث يقول في قصيدة "وثيقة شوق إلى حب الواعد" من بحر الكامل:

أَحِبـاي... كَانوا فِي الوجود ... ومَا كُنا
وَعَادوا ... كَأَنفاسِ الأَميل ... فَهل عُدنا؟
وَفِي شَجَر التَّاريخ ... كَانـوا ... جُذُوره
فَيـا شجـر التَّاريخ... بُرعـم لنـا غُصنـا

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 36.
[2] المصدر نفسه، ص 46.

أجل ... كَان أحبابي ... وَكُنت مُعانقا
هَواهم ... وَكم غَنيت دَربي ... وَكم غنى...[1]

كما أنه ينطلق من الماضي أيضا ليشابه بينه وبين الحاضر في كون العرب قد سيطرت عليهم الأنانية والحقد والطمع، مثلما سيطرت على قابيل الذي سولت له نفسه قتل أخيه هابيل حيث يقول الغماري في قصيدة "مأواك في الغاب" من بحر البسيط:

يمتصنا الحِقد ...."قَابيل" عَلى يده
دَم "هَابيل"... جَلَّ الجُرح أجزانا
وَمَا لاَم من سَمع وَمن يَصر
لَو شَاهد الجُرح ... ضَمَّ الجُرحُ أَجفانا[2]

وبعد تصوف الغماري نوعا من الهروب ممن الواقع، فقد وجد الشعر الحر بعد الاستقلال مناخا يساعد على انتشاره واهتمام القراء به رغم أن الذوق قد تعود على الشعر العمودي أمثال الغماري وغيره، إذ يقول عبد الله الركيبي: "إن الغماري قد كرس شعره كله تقريبا للتنويه بالعقيدة الإسلامية وبروح صوفية"[3].

فالعقيدة الإسلامية، أصبحن غريبة في ديارها وفي مجتمعها الذي أصبحت تسود فيه منتقضات كثيرة، شملت كل المجالات المختلفة.

ومن هنا جاءت صوفية الغماري الرافضة لهذه الأوضاع، والدافعة عن العقيدة الإسلامية، فهو يصرح بهذه الصوفية في قوله من بحر السريع:

---

[1] مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، ص 69.
[2] المصدر نفسه، ص 101.
[3] عبد الله الركيبي: الشعر في زمن الحرية، دراسة أدبية ونقدية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994، ص 165..

قَالوا: التَصَـوف بِدْعة مِن شـرِّ أَخلاق الـهُنود
قُلْتُ: التَصَوف يَا فتى شَوق الخُلود إلى الخلود
لَولا التَّصـوف لَم يَكُن سِـر الوُجود وَلا الوُجود
أضـنت الفَنـاء وَفِي فَنَائِك مَا نَشَـاء وَمَا نُرِيد[1]

وغربة الغماري غربة صوفية لجأ إليها للكشف عن الحقيقة والبحث عن المعادل الوجداني لنفسه، وذلك بالتماسي عن الواقع المحسوس والهروب إلى عالم المثل العليا، ليخلص النفس من تفاهة الحياة وانحطاطها ومادياتها، وهشاشة الواقع، ويتجلى ذلك في شيوع الألفاظ والمعاني الدالة على الحزن والشعور بالغربة، والتسوق إلى الوصال، حيث يقول في قصيدة "أنا المجنون يا ليلى" من بحر الهجز:

أضنَا المَجنون يَا لَيْلَى وَأَنْتِ الجِن والسِحر
أَنَا السَارِي بِليل الحُزْن لاَ الحُزن لاَ شَفَق وَلاَ فَجْر
وَيَا لَيْلَى الهَوى الغَدر ... شَوقِي رَاغف غُمر
عَلى وَادي القُرى لِبَيْت لَما هَاجنِي الذِكر[2]

فيبدوا الشاعر عاشقا ولهانا، ذائبا في الحزن عن الفراق على طريقة العذريين، وصوفيا متجهدا في آن واحد، وما ليلاه إلا العقيدة الإسلامية التي يجاهد في سبيلها، وهذا مجرد إسقاط لاغتراب روحي يلازم الشاعر في وطنه بسبب تغيب العقيدة الإسلامية في المجتمع.

[1] عمر بوقرورة: الإغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص 378.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 107.

فالشاعر عندما يبتعد عن العقيدة الإسلامية، فإن صورة راحلته تهيم في الليل، وصورة الغربة السوداء والناي ذي الصوت الحزين، كلها تنبئ بالهروب إلى عالم آخر أقامه الشاعر مختلف عن عالمنا هو عالم التصوف، يقول أبو القاسم سعد الله: فالغماري إذن دائم السفر في بحار الشوق والثورة باحثا عن حلمه الضائع[1].

وهو بهروبه هذا يتنقل من حلم إلى آخر، يقوده بعيدا عن واقع اليقظة المليء بالانهزام والإحباط فيقول الغماري في قصيدة "سفر في مسافة الشوق" من بحر البسيط:

أسَافـــر فيـــك يـــــا سفـــري ويا هَمي
... وَيا ألمي
وَأوغل في ... أحمل قصتي الخضـــــــراء
مِلء دَمـــي
تسافـــر فيـــك أَسمار الليالي السَمر ... يا
حُلمـي[2]

لكن الشاعر يضل محتفظا بثورته رغم سفره وحزنه ويقول في هذا المجال من بحر المتقارب:

وَجَلت صِحة عَذراء قَالوها ... وَمَا انهزَموا
سَنَرفض وَجه رَفضنا ... وَلتسقط الأَشباح
وَالنُظم
وَنهتف يَـا جِراح الكِبر يَـا إخوان ...
فالتمئوا[3]

كما استعار الغماري قيمه صوفية أخرى للهروب من الواقع، هي استخدامه للخمر والسكر، للدلالة على المحبة الإلهية، لأن هذا الحب هو الذي يفرق الشاعر في السكر، وبذلك فهو يتسامى من بحر الرجز:

[1]أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983، ص 150.
[2]مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة، ص 97.
[3]المصدر نفسه، ص 99.

أنا في صَـباحك صـحوة المَاضـية لاَ تهويم
سِكر
أَنَا فيك لَحن مُوغل بِصبابة الحُلم الأَغمر
سَـواعد تَغزوا وَمَجاهيل المَدى المَخْمور ...
سَمر
بِلهاة عِشـق أورقت شـكوى ... فَرف جُناح
صَبري[1]

فاسم الخمرة هنا يوحي بِالسكر في حب الذات الإلهية، هذا الحب ويصر عليه، ليدافع به عن العقيدة الإسلامية ضد الشهوة.

التشاؤم والحزن

يبدو مصطفى محمد الغماري من خلال أشعاره حزينا متشائما يصور لنا مجتمعا وواقعا مليء بالمتناقضات، وبالظلم والقهر، الأنانية وكل أنواع الانحراف وهذه المأساة التي يتخبط فيها المجتمع الجزائري والعربي عامة، صنعها الغرب اللعين الذي بث في مجتمعاتنا أفكارا مسمومة نتج عنها تفكك ساد بين أفراد المجتمع، يقول الغماري في لهجة مليئة بالحزن من بحر البسيط:

يَلوكني ألمي ... يَا أم يُدميني
فأجعل الحُزن بعضا من تَلاَحيني
أَرنو ... وَأبحر فِي الأبعاد ... ضامئة
سَفائني ... وبِحار الشوق تُقصيني[2]

فهو حزين لما آلت إليه العقيدة الإسلامية من ضياع، وتشرد، جهل، وانسلاخ، لأن أبناء هذا المجتمع المسلم أخذوا يقلدون الغرب تقليدا أعمى، وشمل حتى الإيديولوجيات، فتبنوا الإيديولوجيات الغربية، وبالتالي انسلخوا انسلاخا تاما عن قيمهم المستقاة من الدين الحنيف، حيث يقول في قصيدة "مضروبة الألم" من بحر المتدارك:

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 147-148.
[2] المصدر نفسه، ص 55.

وَفي الألم الرَبيعي الموشي صَوت
قِيثارِي
لآكل من سنين المَوت
تَشرب من دموع الصَمت أَنهاري[1]

هنا يظهر جليا من خلال هذه الأبيات الشعرية أن الغماري يعاني من توتر حاد في المشاعر، يبين مدى الألم والحزن الذي يسيطر على نفسه، ومن الألفاظ الدالة على ذلك الألم، الموت، الحزن، تنتحر، فهي تدل على ما يجتاح نفس المشاعر من حزن وأسى بالغين.

ونفس المشاعر نجدها عند الشاعر في قصيدة "ثورة صوفية" من بحر البسيط:

وَيَنجر اِخضرار اللّحن
يَا قَدرِي
يَموت بِراحتي وَتَرى
فَتُبكيه
تَواشيح الحَنِين المُر
تَعصرية لِتسقيه[2]

فصوفية الغماري في هذا المقطع تختلف عن الصوفية العادية لأنها تحمل في طياتها حلما واقعيا يسعى لإسعاد البشرية، وتجديد الواقع ونشر الشريعة الإسلامية فالشاعر يسكر وهذا دليل على الفناء في المعشوق أو الاتحاد والتجلي حيث يقول في قصيدة "أنا المجنون يا ليلى" من بحر الهجز:

وَجل العشق في التو باء ... يا عُشاق ...
والذِكر
وَحَاد في الرِّمال السَمر يَعشق لَحنه البَدر
وَرَكَبَ حَيثما سَاروا ... يَحبوا أينما مَروا
يَرف الحُب بين دروبهم ... فَدروبهم
زهر[3]

[1] المصدر نفسه، ص91.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 73.
[3] المصدر نفسه، ص 108.

فالسكر الصوفي إذن يعني الهروب من الواقع المريض الذي عجز الغماري عن مقاومته، فاستسلم له بالسكر، وحاول نسيانه والهروب من رتابته، فالغماري في هروبه من الواقع مغترب متصرف ثائر مسافر، يحاول أن يصلح المجتمع ويدافع عنه بالعقيدة الإسلامية ويواجه هذا الزمن الرديء الموجود بأشعاره.

إذ يقول مصطفى الغماري في قصيدة "هيلانا" من بحر الهزج:

يَلُوك الحزن أَشـــواقي ... يَئن اليـأس وَالضَّجر
يَطوحني كَما الآمال في جُنبي ... تَنتحر
فَيَدميها اللَّهَب المر ... يُدميها ... فتنتشر
بعيد عنك هَيلانا ... فلا ناي وَلاَ وَتَر[1]

ولكن رغم هذا الحزن والتشاؤم إلا أننا نلمح ذلك الأمل والتفاؤل في قوله في قصيدة من بحر الهزج:

غدا يـا قِصـــتي الســـمراء أجنبي فيك إسعادي
فيحضر الدم الضمأن في أعماق أمجادي
وَمن حَولي هُتـافـك يرتوي من كرمــه الوادي
يضم الله فاصلة ... تعطر دربنا الصادي[2]

فالغماري متفائل بعودة العقيدة الإسلامية التي رمز لها بهيلانا، حيث أن غياب "هيلانا" يسبب "جهاد وغربة" من بحر المتقارب:

إليـك ســـكبْـت اللُحون الوَضَّاء

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 73.
[2] المصدر نفسه، ص 108.

وقلـت: وَنَـجْوَاك أحلـى
قصيدة
وَثَارت دروب فَقلت: لقاء
بِحجم المُعـانــاة يَرْســـم
عِيدَة[1]

يظهر حجم المعاناة التي يعيشها الشاعر من خلال استخدامه للفظة "المعاناة" فاستخدم "حجم المعاناة" و "سيف المعاناة" و "تهز المعاناة" وكذا "المعاناة صعبة".

فهنا وفي هذا المضمار يقول الدكتور حسين فتح الباب بشأن استخدامه لهذه اللفظة: "قد شربت غير مرة دون وعي من الشاعر لشدة حاجته النفسية للبوح بها"[2].

إذن فألم الغماري وحزنه ناتج أصلا من تقرب الإسلام في ديار المسلمين، فاستخدم رمز "قابيل" ليبين كيف يعيش إنسان العصر الحديث في مجتمع مليء بالحقد والأنانية، ومن هنا كان حزن الغماري ناتج عن الحالة المزرية التي يعيشها مجتمعنا المسلم، حيث يقول في قصيدة "مأواك في الغاب" من بحر البسيط:

يَمْتَصُنا الحقد قَابيل على يده
دَم لِهابيل جَل الجُرح أحزانا
وما لآدم مِن سَمْع وَمن بَصْر
لَو شَـــاهد الجُرح ضَـــم الجُرح
أَجْفَانَا[3]

فقد أحسن الشاعر التعبير عن الوضعية السيئة التي يتخبط فيها العالم الإسلامي، فكآبته وحزنه ناتجان عن وعيه التام بواقع الحياة والمجتمع، يقول الغماري في قصيدة "رباعيات وتر جريح" من بحر الطويل:

وَأعصر يَا أغاني الضَوْء ... أشرب ثَار
ألامي

---

[1] المصدر نفسه، ص 42.
[2] حسين فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1987، ص 209.
[3] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 101.

وتَيْبَس فِي دَمِي رُؤياي تَصْلب فِي
أَحلامي
وَتَنْبت غُربة وَحْشِية تَغْتَال أنسامي
وَلَمَا غَنت عَلى ضَمَأ بِنَاري الحُرْق
أَيَّامِي[1]

هي قصيدة تصور مدى الشعور بالألم والاضطهاد، إنها إذن صورة من القلق والضياع والشعور الحاد بالاغتراب، ويقول في قصيدة "أتون" من بحر الكامل:

سَلَم دم ... وخواطر أشتاب
وَتَقوى على جَمْر المَدى يَقْتَات
وَرُؤى تَـلـوب جَـريـحـة ...
أعماقها
مَصلوبة في جرحها الكَلِمَات[2]

الملاحظ هو شيوع ظاهرة الحزن والتشاؤم التي تنبئ عن نفس منكسرة حائرة، مليئة بالألم والمعاناة والحيرة، هذا الألم ناتج عن مدى تحمل نفس الشاعر من هم اجتماعي ووطني.

فالغماري يعمق فينا مشاعر الحزن والألم على الواقع الأليم الذي يعيشه، فهو يصور الضياع في بحار الغربة النفسية، والآلام التي يعاني منها، وهذه الأحزان ليست أحزانه فقط، بل هي أحزان الأمة العربية والإسلامية جمعاء، حيث يقول في قصيدة "اطمئني أماه" من بحر الكامل:

أيها الجرح ... لَملم النُور –
وَاضْرب
جِيهة الليل ... وَالضَيَاع الغَبِيَا
فِي بُخَارِي ... أُخْت الجَزَائِر فِي
الحُب

[1] المصدر نفسه، ص 111.
[2] المصدر نفسه، ص 159.

نُنَاجِي صُوفِيها العَبْقَرِيَا[1]

فلأجل هذه الأحزان التي يعانيها، يغني ويوغل في العقيدة الإسلامية هروبا من الألم، ويتحول اللون الأخضر إلى زاد وحيد للشاعر في دروب الألم والحزن.

ومما يلاحظ على الغماري من خلال أشعاره أنه يبدو كسيرا يعاني غربة روحية نفسية تمثلت في هذه عن أفراد مجتمعه حتى غدا وكأنه حي بين الأموات، وقد تجلى في إحساسه بالوحدة والعزلة، وفي كثرة تذمره من الحياة والناس، وفي مشاعر الأرق والكآبة، والقلق التي هيمنت على شعره، وأضفت عليه طابع الحزن والألم.

أثر الاغتراب في لغة الغماري الشعرية:

المفردات والعبارات

إن اللغة هي الوسيلة التي يتخذها الشاعر للتعبير عن تجربته في الحياة، وهذه اللغة نجدها تتأثر شديد التأثر بها وترتبط بظروف الفرد وما في نفسه من مشاعر وأحاسيس مختلفة يخرجها عن طرق اللغة التي تحتضن رؤيته ويجعلها تحيط بتفاصيل تجربته، فيعمل بذلك على البحث عن اللغة المناسبة المعبرة عن تلك الحالة والمعاناة التي يحسها من جراء العامل المسبب للحالة والدوافع التي جعلته يستخدم مثل تلك اللغة ومدى نجاحها في تصوير الآلام والأحزان.

وهذه اللغة التي يستعين بها قد تكون واضحة المعالم أو لغة مبهمة غامضة لا يفهمها أيًا كان إلا باللجوء إلى تحليل نفسية القائل وفق دوافع نفسية واجتماعية جعلته ينضم مثل هذا النتاج الأدبي.

يستنبط الغماري ألفاظه وتعابيره من تحاربه الخاصة، وذوقه الخاص، ومدى وعيه بمعاني الكلمات وأبعادها، وقد انعكست هذه الألفاظ على نفسية وشخصية الغماري فأعطتها بعدا فنيا وشعريا متميزا، فلسفة الغماري قد عبرت عن ذلك الإحساس بالنفي، والغربة والضياع والتشرد، ولذلك جاءت ألفاظه أو مفرداته كلها قوية وحاسمة تعبر عن رفضه الشديد لذلك الواقع الذي يعيشه، كما تدل بلا شك على ذلك المخزون والطاقات الإيحائية، والتعبيرية والموسيقية وعلى التراكم المعرفي الممتد إلى التاريخ الإسلامي عبر العصور، وإلى القرآن الكريم اللذين زودا لغة

[1] مصطفة محمد الغماري، أسرار الغربة، ص 50 – 51.

الشاعر بكثير من التطور والنماء في قصائده فقد تلقى تعاليم الدين وأصوله وهو في ريعان شبابه، نستطيع أن نقول لازمته منذ الصبى، إذ قال أبو القاسم سعد الله: "فتعاليم مدرسة والده وزاوية بلعموري والمعهد الإسلامي مازالت تلازمه حتى هذه الساعة"[1].

فتعلمه كان دينيا محض إذ أنه تلقى الدين وهو لا يزال صبيا، وهذا ما شكل لديه ثقافة دينية انعكست على أشعاره ويقول في قصيدة "مناجاة" من بحر السريع:

صُوفية أسرارُك النَش وَى، وَصُوفي
أنَا
عُذرية أَنغامنا البيضـ ـاء يا أم السنى
تمتد فيك يَ دروب لِحب نَروي سَرنا
فتورق الأسحار هَمسا حين نَسقي
عِشقنا[2]

ولعل أكبر قدر من هذه الألفاظ التي تدل على اتجاه الشاعر هي اللغة الصوفية مثل: صوفي، أنغام، دروب، الأسحار، فالشاعر مغترب متصوف، حيث يقول في قصيدة: "أقوى من الأيام" من بحر الرجز:

بُرْعُمَة نَجْوَاه فَكانت صَحوة
مِن سُكرها ... غَنَيت فِي خَفقان
شَاهدت نُورك يَا إله مُعطرا
سِحري ... إذا نام الوُجُود
سَقَاني[3]

فالألفاظ عند الغماري ... ليست تلك المفردات الوصفية والأجراس والإيقاعات ...، فزيادة على ذلك فإنها تأخذ ألوانا وأبعادا فنية تستمدها من روح الشاعر ومن تجربته النفسية الواعية التي يعم شعورها وطابعها كل وسيلة ووحدة بنيوية داخل

[1] أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، ص 148.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 117 – 118.
[3] مصطفى محمد المغازي: أسرار الغربة، ص 63.

التركيب الكلي ... فألفاظه كما يقول يحياوي الطاهر "الألفاظ عنده ذات شفافية وإشراق (ضوئية)"[1].

يقول الغماري في بحر الكامل:

لحي يَتصاباها الظَلال ... ويبتني
وَكور ... بِها تَنزو رياح عَداوة
سَـــأَحْرِقها بـالحقِ ... فِي مُقلـة
الضُحى
وَتَـردى خَـفَـافِـيـش الـظَـلام
انتِفَاضتي[2].

فالشاعر لا يزال متمسكا بموقفه تجاه أعداء الإسلام، فيرمز لهم بخفافيش الظلام، ذوي اللحية لطويلة التي يقدر إحراقها، لأنها رمز لمبدأ يتناقض مبدأ الشاعر، وهو هنا جريء وشجاع لأنه يحرقها في مقلة الضحى، فهو واثق من نفسه ومن صواب موقفه لأنه ينطلق من العقيدة الإسلامية، في حين ينطلق هؤلاء من قناعات مفتعلة، إذ يقول الغماري في قصيدة "هيلانا" من بحر الهزج:

يلوك الحُزن أشـــواقي ... بين اليـأس
والضجر
يطُوحني كَما الآمال فِي جَبِيني ... تَنْتَحر[3]

الألفاظ المستعملة في هذه الأبيات كلها تدل على حزن وألم الشاعر مثل يلوك، اليأس، الضجر، يئن، يطوحني، تنتحر، يدميها، تنتثر.

فمثلا لفظة: "يلوك" قد استخدمت هنا في غير معناها الأصلي الذي هو مضغ الأكل، فوردت في هذه الأبيات بمعنى التجريح والإيلام، فأشواق الشاعر يلوكها

[1] يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى الغماري، ص 71.
[2] مصطفى محمد المغازي، المرجع السابق، ص35.
[3] المصدر نفسه، ص 13

- "هيلانا" هي أسطورة باكستانية إسلامية ترمز للقوة الذاتية ومواجهتها لكل التحديات والرافضة للظلم والقهر.

الحزن في شدة وقوة دونما رحمة، فتنتحر آماله من شدة اليأس والضجر اللذين يجتمعان ضد الآمال والأشواق، فالشاعر منهزم لأن أشواقه تطمح إلى المثل العليا، والقيم الخالدة التي استعص عليه.

فالحب والشوق إلى مشاهدة الذات الإلهية كان السبب في صيامه، وسكره. فالمضامين الشعرية عنده مع أنها تبدو مضامين حسية في وصفه الخمرة مثلا، إلا أنها ذات دلالات أخرى، يقول عبد الحميد هيمة: "إنها تقع في تماس مع مدلولات تجربة الشاعر المتشبعة بالفيض الصوفي، فتتحول الخمرة إلى موضوع مقدس، يطوف به العارفون، ويستلمون دنه، غير متحرجين من عيب أو دنس، حيث أنه يجمع بين طابع تجريدي، وطابع حسي، وهو يسعى بهذا الشكل لاقتناص لحظات التجلي والإشراق"[1].

والغماري يستعمل كثير الألفاظ والمفردات الدالة على الألوان، فهو يرمز باللون الأخضر إلى الفرحة والبهجة والأمل، الحرية.

فالحضرة في الشعر المعاصر، غالب ما تجمدت عند البراءة والشفافية والأصل الآمن في كل شيء في الصوت، الضوء، الشعر، الأرض والمشاعر، وكذا الأشياء.

وليس شيوع الحضرة مرتبط بشعراء القرية دون المدينة، فهو رمز شائع في الشعر المعاصر عموما، يقول الغماري في قصيدة "عودة الخضر" من بحر المتقارب:

آتٍ وَيَسْبِقنِي الهَوى لِمَوْطِن
شَوقُ الهَوى فِي دَربِها أَزهار
آتِ إِلَيْك ... ففي الشَوَاطئ فَرحة
يَا ابن المِياهالخُضر ... مالك
مُمعن
بِسوء السَلام حُروفها الخَضراء[2]

[1] عبد الحميد دهيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري المعاصر، شعر السبعينات نموذجا، جامعة قسنطينة، 1995، ص 25.
[2] مصطفى محمد الغماري : أسرار الغربة، ص 38 – 39.

كما استخدم اللون الأسمر و الوردي والأبيض،حين واللون الأسود، الأحمر للدلالة على كل أنواع الشر والقهر والحرمان والإلحاد والفساد، حيث يظهر ذلك جليا في قوله في قصيدة "أسرار الغربة" من بحر البسيط:

تَشْتَاقه سمَر الرِمال وَتَنْتَشِي مِنْه الوُجود
وَالنَّجم وَالفلك المُحيـ ط يَحُوبُهالوَهَج المَرِيد
وَبضحكة صَفراء يَزْ جِيها لكم شَرَّه المَريد
سَخَرت مَرَايَا العَصر مِنْكم، لَو عَلمتم يَا قُرود[1]

إلى جانب هذا استخدم بعض الألفاظ المستوحاة من الطبيعة مثل يزهر، يروق، ينمو، حيث يقول الغماري في قصيدة "سفر في مسافة الشوق" من بحر المتقارب:

وَيَزهر فِي دمي وَتْرى بِعطرك يَا حنين غَدي
سَنَرفض وَجه غُربتنا سَتَرفضه وَلا نَدم
وَيُورِق لَفْظنَا وَلْتَسْقط الأَشْباح وَالنُظُم[2]

يشبه الغماري رفضه اللامتناهي بشجرة تورق حتى يبعد القهر، والظلم عن ذلك المجتمع الذي هضمت جميع حقوقه تلك النظم والقيادات اللامبالية، حيث يقول في قصيدة من بحر الطويل:

وَمَا إلا غُصَة فِي حُلوقهم
وَحَشْرجة الأقدار فِي صَدر مُذنب
وَمَا أَنَا إلا النّضار تَشوي قُلوبهم

[1]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 137 – 138.
[2]المصدر نفسه، ص 97 – 98.

وَإلا الضُحى يَرْمي بِأشلاء
غَيهَب[1]

جاءت الألفاظ هنا مناسبة للموضوع، فلفظة حشرجة قد أزيحت عن استعمالها العادي لتدل على تأنيب الضمير، فالشاعر في حالة توتر، ويظهر ذلك من خلال صرخاته في وجه أعداء الإسلام، متمسكا بموقفه اتجاههم، فهو يؤخر ضمائرهم فيجعلهم يحسون باللوم وتأنيب الضمير، ويذكرهم بحقيقتهم المخزية، وارتدادهم، وانحرافهم عن الطريق المستقيم، فيعبر الشاعر عن ذلك بأنه حشرجة في صدورهم فهو هنا إنما يقصد وقوف الإسلام في وجه هؤلاء الأعداء، ومن هنا فقد اتحدت ذات الشاعر بالموضوع.

في حين إن كلمة أشلاء فهي مفرد شلوا التي تعني عضو، ولفظت غيهب دالة على الظلام، وباتحادهما في البيت "استيلاء غيهب" فهذا المعنى يتعدى المعنى المعروف لليل بالسوداء والظلام فقط، بل الليل عند الغماري قد اصبح جسدا له أعضاء، ولفظة ضحى تدل على قوة النور، واشتداد الضياء، ولفظة يرمي تدل على الطلاقة والحرية، وبذلك فإن النور والضياء المتمثلة في الضحى يرمي أعضاء هذا الجسد المتمثل في الليل فالضحى هنا هي العقيدة الإسلامية والغيهب هم أعداء الإسلام الحاقدين عليه.

ب. الأسلوب:

من خلال الدراسة التحليلية لشعر الغماري، تبين لنا أن أسلوبه، ناتج عن تفرد الوسائل التعبيرية الجزئية كاللفظ والرؤية الفنية والفكرية.

ونجد الغماري زواج بين النمط القديم للشعر المتمثل في القصيدة العمودية، وبين النمط الحديث المتمثل في الشعر الحر، فقد تفوق في الشعر العمودي لأنه يصدر عن طبع صاف، وهو حسب رأي حسن فتح الباب: "يمتاز بالرشاقة الديباجية، والنصاعة، ومتانة السبك، ما إليها من معايير نقادنا القدامى في تقويمهم للشعر"[2].

[1] المصدر نفسه، ص 31.
[2] حسن فتح الباب: شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق، ص 209.

كما أنه أدخل تقنيات حديثة على الشعر العمودي في الصياغة وتركيب الصورة لتجنب الوقوع في النمطية وتصريف الجمل، ورتابة الإيقاع، كما أن لعته أكثر تطورا وأقرب إلى الحداثة، كما تميزت قصائده التي نسجها على منوال الشعر الحديث بالتدفق، فهم يمزج بين ما اكتسبه من ثقافة قديمة ليوظفه في قصائده المتحررة.

تميز أسلوبه بانفعال حاد وهذا ناتج عن مزاجه الثائر المتوتر القوي، كما يؤكد هذا عمق معايشة الشاعر لقضاياه النفسية والفكرية ومن هذا يتبين لنا بأن علاقة الشاعر بأسلوبه هي علاقة متلاحمة.

وقد تميز أسلوب الغماري بجملة من الخصائص من بينها:

- **التكرار:**

هو ظاهرة موسيقية بالدرجة الأولى، ويأخذ دلالة إيقاعية، فيعمل على سد الثغرات الناجمة عن اختفاء التفعيلة، وقد يكون التكرار تعمدا من الشاعر لتأكد حالته الاغترابية المصحوبة بالإيقاع المأساوي والحزين، والتكرار الإيقاعي الذي يستعمله الشاعر له دلالته الصوتية النابغة من داخل الشاعر خصوصا في تلك اللحظات التي يحتدم فيه الصراع لينعكس على الإيقاع ويجعله مكثفا حيث يقول عز الدين إسماعيل في كتابه التفسير الفني للأدب: "وقد أدرك شعراؤنا المعاصرون أهمية التشكيل الموسيقي للقصيدة من حيث أثره القوي في تقديم صورة صادقة ومؤثرة لوجدنا تهم المختلفة فحاولا أن يخرجوا من إطار التشكيل القديم للقصيدة إلى شكل جديد تكون فيه الصورة الموسيقية للقصيدة خاضعة خضوعا مباشرا للحالة النفسية أو الشعورية التي يصدر عنها الشاعر، وبهذا تصبح القصيدة صورة موسيقية متكاملة، تتلاقى فيها الأنغام وتغترق، محدثة نوعا من الإيقاع الكلي الذي يترك في نفس المتلقي أثره"[1].

فمن هنا لم يعد الشاعر ملزما بإشباع نمط معين، بل خرج عن البناء التناظري الذي كان يميز القصيدة القديمة، ومن هنا دأب الشاعر المعاصر في البحث عن وسائل موسيقية يثري بها النص الشعري، وبالرغم من وجود ظاهرة التكرار في أشعار القدامى إلا أنها لم تظهر بشكل واضح إلا في عصورنا.

[1] عز الدين إسماعيل التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، ط4، (د.ت)، ص 52 – 53.

تقول نازك الملائكة: "وقد جاءت على أبناء هذا القرن فترة من الزمن، عدوا خلالها التكرار في بعض صوره لونا من ألوان التجديد في الشعر"[1].

وهناك الكثير من الشعراء لجئوا إلى التكرار ومن بينهم نجد: السياب، محمود درويش، صلاح عبد الصبور... وغيرهم من الشعراء.

فمثلا نجد السياب يريد أن يؤكد شعوره الاغترابي، هذا الشعور الذي يأخذ أبعاد كثيرة يأخذ بعد الموت، وتارة الرفض والاستسلام تارة أخرى، فزمن الاغتراب واحد ولكنه يحركه في أشكال عدة فيقول:

وَيَهطل المطر
وكُل عام، حِين يَعْشُب الثَرى
بجُوع
مَا مَرّض عَام، وَالعراق لَيس فيه
جُوع
مَطَر...
مَطَر...
مَطَر...[2]

كرر الشاعر هنا لفظة "مطر" وهي صرخة نابعة من ذات الشاعر المغتربة.

وقد ترددت في قصائد الغماري ألفاظ مألوفة متداولة في الشعر الغنائي مثل: الهوى، الحب، العاشقون، الرياح، الأشواق، اللحون، الوضاء... وبنفس المعاني المعروفة مما يجعل صدر القصائد نوعا من التكرار والاجترار الذي لا يثري القصائد من الناحية الفنية، فقصيدة "سفر في مسافر الشوق" تكاد تكون نسخة مطابقة لقصيدة "مسافر في الشوق" فالاختلاف فقط في الشكل والقالب حيث جاءت الأولى على النسق الحديث للشعر، أما الثانية فهي على النسق القديم، وهذا راجع لكون القصيدتين لا يفصل بين كتابتهما سوى شهر واحد، مما أدى إلى تكرار الألفاظ والعبارات والصور، حيث نجد التكرار في قول من بحر الطويل:

[1] نازك الملائكة: قضاضا الشعر المعاصر، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1981، ص 263.
[2] ديوان بدر شاكر السياب، دار العودة، بيروت، دط، ص 479.

بِحَجْم المُعاناة يَرْسُم عِيده
تَغِيم، تَغِيم الدُرُوب وتَصْحُو
وَيُزْهِر في الحَدَقَات النَّهار
بِسيف المُعَاناة يَكبر الجُرح
وَيَنْطَلق السَفَر الانْتِظار[1]

فقد وردت عبارة " حجم المعاناة" وتلتها في الأبيات الموالية عبارة "سيف المعاناة:، وفي حين كان من السهل على الغماري أن يتخلص من هذا التكرار لأنه يتمتع بقدرة لغوية وتعبيرية كبيرة.

وقد تكررت أيضا لفظة "دروب" و"تغيم" في هذه القصيدة، فقد قال حسن فتح الباب بشأن تكرار الكلمة كلمة "المعاناة"، لا شك أن هذه الكلمة قد تسربت غير مرة دون وعي من الشاعر لشدة حاجته إلى البوح بها، كما أنه لم يصقل القصيدة بعد نظمها ليتخلص من الحشو.

لكن رغم هذا التكرار فإن المقطوعة جميلة من الناحية الفنية، حيث يقول عبد الحميد هيمة: "إن التكرار فضلا على دلالته النفسية يحمل دلالات فنية تكمن في تحقيق النغمية، والخفة في الأسلوب، مما يضفي على النص قدرة أكبر في التأثير على المتلقي"[2].

- **التشخيص والتجسيد:**

يعتبر هذا العامل ذا أهمية أكيدة وكبيرة في إبراز المعاني، خاصة وأن الشاعر يتوغل في بعد فني جديد، بمعنى أنه يستطيع نسج العلاقة بين عباراته الشعرية، كما يعود أيضا إلى قوة الخيال العلمي اليقظ والذي يلعب دورا فعالا في البناء الداخلي للقصيدة إذ يقول الغماري في قصيدة "هيلانا" من بحر الهزج:

يتلوك الحُزن أشـــواقي... يَئن اليَـأس
والضَجر[3]

هنا قد أضفى الغماري صفة إنسانية على الحزن، حيث جعله يلوك أشواقه أي يمضغها، وقد قصد الغماري من هذا المعنى، تلك الصعوبات والعراقيل التي يقف

[1] مصطفى محمد الغماري :أسرار الغربة، ص 69.
[2] عبد الحميد هيمة: الصورة الفنية في الشعر الجزائري، شعر التسعينات نموذجا، ص 56.
[3] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 119.

في وجهه، كما جعل اليأس يئن في حين أن الأنين هو الصوت الذي يصدر عن المريض، كما يقول في هذا الصدد أيضا في قصيدة من بحر الوافر:

وَتُثبت غُربة وَحْشية تَغتال
أَنسامي[1]

هنا قد جعل الغربة شيئا محسوسا بأن جعلها تنمو كالنبات ليغتال أنسامه.

- **التقابل والتضاد:**

أول ظاهر تقابلنا في المتن الشعري الجزائري المعاصر، هي أسلوب التقابل والتضاد بحيث يكون الأثر النفسي لأحد طرفي الصورة مناقضا لأثر الطرف الآخر، وهذا التناقض من أهم العناصر المولدة لديناميكية الصورة والقصيدة التي تصبح أداة لتجسيد الصراع والتعارض بين القوى البشرية ومصالحها في الواقع.

ولو تتبعنا شعر الغماري لوجدنا أن أسلوبه قد خصص بأسلوبي التقابل والتضاد، إذ يقول في قصيدة "هيلانا" من بحر المتقارب:

يُحاول غيري السَفَر
يُحاوِل أن يَسْكُن البرَّ وَالبَحْرَ
عَيْنَاك بَري وَبَحْرِي
وَعَيْنَاك ذَاكِرَة المَوْجَ
مَلْحَمة الرَمْل[2]

فالتضاد يظهر في قوله (البر والبحر)، (ذاكرة الموج، ملحمة الرمل) فالتضاد والتقابل كما يقول عبد الحميد هيمة: "ناتج عن ولوع الشاعر بالتنافر بين عناصر الصورة"[3].

وكما قلنا سالفا فإن التقابل والتضاد من خصائص أسلوب الشاعر حيث يقول من بحر الهزج:

---

[1] المصدر نفسه، ص 135.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 119.
[3] عبد الحميد هيمة: البنايات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 14.

يَلُوكُ الحُزْن أشْــوَاقِي ... يَئن اليَأس وَالضَجَر
يَطْرَحُنِي كمــا الآمــال فِي جُنْبي ... تَنْتَحر
فَيُـدْمِيهَـا اللَّهَـب المُرّ ... يُـدْمِيهـا ... فَتَنْتثر[1]

هناك تقابل بين (الآمال والأشواق) و(اليأس والحزن)، كما أن هناك تقابل بين (الحزن واليأس) و(الشاعر وأشواقه) فالحزن يلوك الشاعر واليأس يسيطر على أشواقه فالمعنى الأصل لكلمة يلوك هي يمضغ والشيء الذي هو الأكل، ولكن الغماري طورها وأصبحت تقال أو تقصد بها معنى آخر ... فلو قلنا تلوكه الألسن هذا يعني أننا قصدنا أن الناس قد نالوا من عرضه وشرفه لكن الشاعر قد أضفى عليها روحا جديدا تلك مزية من مزايا الشاعر القدير في كل زمان ومكان.

يقول الغماري أيضا في قصيدة من بحر الطويل:

وَمَا أنا إلاّ النّار تَشْوِي قَلْوبهُم
وَإلاَّ الضُــحَى يَرْمِي بِأَشْــلاَء غَيْهَب[2]

فالشاعر هنا قد شبه نفسه بالنار التي ستشوي أعدائه، فقد قابل هنا بين قوتين، القوة المسيطرة المتمثلة في الشاعر (النار)، والقوة المسيطر عليها التي هي أعدائه (تشوي قلوبهم) وبالتالي فقد قابل بين الإسلام والضلال.

ومن خلال خصائص أسلوب الغماري التي استعرضناها تظهر لنا جليا قدرة الشاعر على وضع الصورة النفسية، والتعبير عما يختلج في نفسه من عواطف مشاعر، لأنه يملك إمكانيات فنية وخبرة كبيرة في التعامل مع الألفاظ والرموز، حيث يرى أبو القاسم سعد الله أن: "لغته تتميز بالحيوية، وأسلوبه بالتدفق وصوره الشعرية بالثقافية"[3].

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 13.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 121.
[3] أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، ص 151.

ج. الرمز:

يعرف الرمز في الأدب بأنه المفردة أو العبارة التي تحمل دلالات مشتركة في ذهنية جمعية ما، ويختزل كم من المعاني الدلالية العميقة ليعبر عن تجربة شعورية، يتولى الرمز التعبير عما أرادت البوح به بكل دقة وقوة اتصال مع المتلقي، والرمز يعتمد على مصادر عدة كالتاريخ والتراث والدين والأسطورة.

وقد أكثر الغماري من استعمال الرمز، فقد وظف الرمز الديني، الرمز التراثي، الرمز الأسطوري والرمز الصوفي... وذلك لما تحمله هذه الرموز من طاقات إيحائية، وكثافات دلالية، إذن فالرمز ينقلنا بعيدا عن حدود القصيدة ونصها المباشر، واستخدامه يثري تجارب الشعراء بالخصوبة والتنوع، يقول عبد الحميد هيمة: "إن الرمز ينبثق من المجاز اللغوي نفسه، حين يضغط الشاعر على بعض الألفاظ في القصيدة ضغطا مركزا يتجاوز كثيرا حد الإشارة إلى المعنى العام القريب والمألوف بحيث يوقظ في النفس معانيه التي لابست ميلاده لأول مرة، واقترنت بالتفكير الأسطوري الديني لمخترع اللغة القديم الذي يرى في كل شيء روحا مؤثرة فاعلة تتحرك وترتبط بقوى الخير والشر"[1].

فقد اهتم الغماري باستخدام الرمز لما يملكه من قدرة على الإيحاء، فهو ينقل الألفاظ من استعمالاتها السطحية البسيطة المألوفة إلى مجالات دلالية عميقة، وفي ذلك يقول محمد ناصر: "إن تفضيل الغماري للتعبير الرمزي وإيغاله فيه أحيانا جعل الصورة الشعرية عنده تعتمد هي الأخرى على الرمز أساسا، والرمز كما هو معروف يؤدي إلى الحيلولة التي توحد بين الأشياء وتنزع عنها حدود المنطق، ويعتبر الرمز من أصفى الأساليب الشعرية وأرقاها، لأن الشاعر من خلال الشعر الرمزي ينكر مظهر المعاني للشيء، ويعبر منه إلى التأويل والتلميح"[2].

واستخدام الغماري رمز ليلى في كثير من قصائده من بينها قصيدة: "بين قيس وليلى" من بحر البسيط:

---

[1] عبد الحميد هيمة : البيانات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 71.

[2] محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985، ص 27.

قَيس: بَين وبينك ... ليلى في الهَوَى
نَسب
فَأَنْت وَجْهِي ... وَأَنْتَ الوَرد والعِنَب[1]

فليلى هي العقيدة الإسلامية، أما قيس فهو الشاعر مصطفى محمد الغماري، إلى جانب ذلك فإنه يرمز عن طريق الألوان إلى دلالات أخرى، فيرمز بالأخضر إلى الخصب، ويرمز للشر والفساد باللون الأسود والأحمر والرزق، كما استخدم لفظ سفر للدلالة على الغربة، والضياع والتشرق إلى عالم أحسن، يقول الغماري من بحر السريع:

أســـافر فيك يا سَـــفَرِي وَيَا هَمِّي ... وَيَا أَلَمِي
وَأَوغل فِيك أَحْمل قِصتِي الخَضْرَاء مِلء دَمِي[2]

فسفر الغماري لا يعني به الرحلة الحقيقية أو السفر بمعناه المادي، إنما يعني به تلك الغربة التي يعيشها جراء ما يعانيه من واقع مجتمعه، كما نقل في كثير من الأحيان الألفاظ من مجالها التجريدي إلى مجال حسي والعكس، كما جسم المجردات في قوله:

عَلى شَفَتِي تَشْرئب عَنَاقِيد ضَوئِي تَنْسل أَشْبَاحُه
أَرَاك فَتُشْرق فِي كُلّ دَرب وُرُود وَتفَضل أَعْمَاقه[3]

وقد استخدم "عناقيد ضوئي" للدلالة على شعور النفس المتمثل في الأمل والفرحة لمجرد التفكير في عودة العقيدة الإسلامية للمجتمع الإسلامي، ومن بين الرموز التي استخدمها الغماري في شعره.

[1] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 23.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 97.
[3] المصدر نفسه، ص 78.

- **الرمز الديني:**

إن الرموز المستمدة من القرآن الكريم طغى عليها شعر الغماري، وهذا راجع لتأثر بالقرآن الكريم، حيث يستخدم هذه الرموز ليعبر عن الحاضر إذ يقول في قصيدة "مأواك في الغاب" من بحر بسيط:

يَمْتَصُنا الحِقد قَابيل عَلى يَده دَ لِهَابيل جَلَّ الجُرْح أَحْزَانا
سلَ المُرُوءَات مَن بَاعوا مَن ذَبَحُوا بِالأَمْس تَاريخُنَا
أَضْحوا نَدْمَانا[1]

فقد شابه الغماري بين الحاضر والماضي، فوظف رمز قابيل الذي أعماه الطمع والأنانية فقتل أخاه هابيل، دون التفكير في العواقب ليدل به على الطمع والحقد المتفشيان بين الإخوة العرب في الحاضر، فحضور في هذه القصيدة كاف لشرح الوضعية الحالية التي آلت إليها المجتمعات الإسلامية.

- **الرمز الصوفي:**

وظف الغماري الرمز الصوفي بكثرة في قصائده وهو ليس بالضرورة يجب أن يكون رهبانيا، ولا رهبانية في الإسلام، يقول عمر بوقرورة: "الرموز الصوفية هي التي تعبر على حالة متقدمة من حالات الاغتراب حيث يسمو الشاعر من خلالها عن الواقع المادي ليعتنق عالم الروح"[2]

واستخدم الغماري رمز المرأة التي غالبا ما تتمثل في "ليلى" كما استخدم رمز الخمر، إذ يقول في قصيدة البحر البسيط:

قيس: بيني وبينك ... لَيْلى فِي الهَوى
نَسَب
فَأَنْت وَجهِي ... وَأَنْتَ الوَرد وَالعِنَب
أَنت الخَوَاطر .... إن ذَكَرْت أُغْنِيَتِي
إذا تَرنَمْت ... أَنْتَ الشِعر وَالغَضَب[3]

فليلى عند الغماري هي العقيدة الإسلامية، التي أصبحت مغيبة في وطنها، وبين أبنائها، بحيث أصبحت في مرتبة القداسة فالإسلام لا يمنع التصوف ولا يوجبه، لأنه

[1] المصدر نفسه، ص 101.
[2] عمر بوقرورة : الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر، ص 513.
[3] مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، ص23.

إذا كان صوفيا فإنما يلبي ملكة نفسية طبيعية "فطرة الله التي فطر الناس عليها" والذي لا يكون صادقا مع نفسه ونوازعها فلا حاجة للأدب والنقد به.

أما عن رمز الخمرة فقد نتج عن شدتي حنين الغماري لليلى أي العقيدة الإسلامية، حيث يقول من بحر الخفيف:

قَدَّر شَاء ... فَاسْكُرِي يَ
دُرُوبِي
خَمْرة الوَصل تَزرَع الله فيا
قَدْرَ شَاء أن يَرُود صُمُودِي
آيَة الله ... حَرْفَهَاالأبَديا[1]

فالغماري يسكر من شدة حبه لليلى ويسكر لأنه يجد راحته في التعامل مع المظاهر الغيبية لا المظاهر الحسية، فيتسامى عن هذا العالم المزيف المليء بالمتناقضات إلى عالم آخر تكون فيه للعقيدة الإسلامية مكانتها التي تستحقها، كما أنه يستخدم رمز ليلى ليعبر عن شدة هيامه بالجمال الإلهي.

- **الرمز الأسطوري:**

إن اللجوء إلى الأسطورة في الفكر العربي المعاصر هو استحضار للبطولة الغائبة، وحنين لها، وتوق لزمن نظيف، وتاريخ غير ملوّث بالطغاة والظلمة، وعندما نستدعي البطل الأسطوري والتاريخي عبر زمن القصيدة وشفافيتها، فإن توقا شديدا يدفعنا لتقمص هذا البطل، وتمثل حالته باعتباره المفدى والمخلص والشعلة التي تنير طريقا مظلما.

والأسطورة هي المصدر الأغنى لأنها تعتمد في تكوينها على مصادر عدة كالتاريخ والتراث والدين، فهي تعتمد على الرمز لتكشف مدلولاتها، ومع الرمز تتعدى قيمة الأسطورة عن المعنى الذي عرفناه دائما في كونها مجرد خرافة تاريخية.

فالأسطورة تعبر عن نظام رمزي ثقافي يماثل النظام الرمزي اللغوي كلاهما يبحث عن التواصل والاستمرارية، فالأساطير لا تعرف الفناء أو الموت فهي حية تنفذ في نصوص الإنسان بآلة الرمز.

[1] المصدر نفسه، ص 74.

ولهذا نجد استخدام الرموز الأسطورية في شعر الرواد كانت قضية تستحق البحث لأنها ظاهر مهمة من ظواهر هذا الشعر لما فيه من دلالات خاصة، حاول الشعراء من خلالها تفجير الدلالة المطلوبة في إطار السياق الشعري ليؤكدوا الأحاسيس والمعاني والأفكار التي يحملونها في جنباتهم من خلال المواءمة بين الرمز والسياق الفني بمعنى توظيف الشاعر لرمزه الأسطوري انسجاما مع السياق الفني لقصيدته، ولولا ذلك لتحولت القصيدة إلى ترقيع غير متجانس فنيا.

ولقد تفاوت الشعراء الرواد في أساليبهم استخدامهم للرموز الأسطورية فمنهم من ذكر شخصية من شخصيات الأسطورة ومنهم من اتكأ على معناها العامدون أن يذكرها ومنهم من ذكرها وأفاد من مغزاها العام، كل حسب قناعته ودوافعه وذلك لما في الأساطير من طاقة رمزية تمنح الشاعر مجالا للتعبير ليفصح عن أفكاره على نحو فني يبعد القصيدة عن المباشرة والسطحية من جهة وينأى بالشاعر أحيانا أن يكون عرضة للأذى والملاحقة، وهذا يشير إلى أن للظروف السياسية والاجتماعية دورا في هز كيان الشاعر أمام هذا القلق الحضاري وتبدل القيم والعلاقات الإنسانية.

وقبل أن يكون توظيف الأسطورة في النص الشعري العربي المعاصر عودة إلى التراث والميثولوجيا، فإنه رؤية تستمد مكوناتها للفكر الأسطوري، فالواقع العربي اليوم بتعقيده وغرائبي تهوس وداويته علاقات ومؤسسات لهو أغرب من الأسطورة، إنه الخرافة عينها التي تفوق حد التخيّل والوصف، وما من شاعر عربي مبدع إلا وعانى من اغتيال هذا الواقع لأحلامه وفرحه، وحرية قصيدته فكان اللجوء إلى الأسطورة رفضا لهذا الواقع، وبالتالي كان استخدام الرمز الأسطوري المكثّف الدلالة، البعيد الإيحاء، هربا وخوفا من سلطة هذا الواقع، لكي لا يثير الشاعر ظنون سلطة الرقابة وريبتها.

يكثر استخدام الأسطورة في شعرنا المعاصر خاصة في تجارب الثمانينات ولعل ذلك راجع إلى عجز اللغة التقليدية عن أداء وظيفتها التوصيلية، وقصورها في الكثير من الأحيان عن التعبير عن تطلعات الفنان الفكرية والفنية التي لا تقف عند حد ما.

وبهذا فقد ارتبط الشعر المعاصر ارتباطا وثيقا بالأسطورة إذ يرى شليغلأن: "الأسطورة والشعر شيء واحد لا انفصال بينهما"[1].

ورغم استخدام الغماري للرمز الأسطوري إلا أنه تعامل معه في حدود إسلاميته، فقد وظف رمز "هيلانا" وهي أسطورة باكستانية إسلامية في قوله من البحر البسيط.

بَعِيد عَنْكِ هيلانا ... فَلا نَاي وَلاَ وَتَر
وَلا أَمَل يبرعم فيه يَزْهُو ... يَحْلم
الزَهر[2]

فهيلانا ترمز للقوة الذاتية التي تكمن في العقيدة الإسلامية تعبيرا عن مواجهتها لكل التحديات، إذن فهيلانا هي العقيدة الإسلامية المتحدية الرافضة لكل ظلم وقهر.

ج. الصورة الشعرية:

لم يقتصر تجلي ظاهرة الاغتراب على مستوى اللغة المفردة، بل تعداها إلى الصورة المرتبطة بنفسية الشاعر، فالصورة تحمل أصدق ما يشعر به الشاعر من اغتراب، وإبداع في الوقت نفسه، فهي تحمل في مضمونها أشياء خفية عن الواقع، بل إنها الوسيلة الوحيدة لتصويره وتفسير خلفياته المضادة له بعدما عجز المنطق على تفسيرها.

إن الصورة هي الملجأ الوحيد لدى الشاعر، يستطيع من خلالها أن يمزج بين الواقع والحلم، بين الفكرة والصورة، وهذا يعني ابتعاد الشاعر عن حقيقة واقعه، وإنما يوحي في شعره بالحقيقة التي لا مفر منها، ومنها نتساءل كيف جسدت الصورة الشعرية للاغتراب عند الغماري.

يقول يحياوي الطاهر: "إذن انطلقنا من مفهوم الوسائل الفنية هي وسائل مجندة من أجل غاية هادفة في العمل الشعري... فإن القصيدة الشعرية هي تعبير عن موقف

[1] عبد الحميد هيمة : البنيات الاسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 81.
[2] مصطفى محمد الغماري، أسرار الغربة، ص 13.

نفسي عام أو خاص بالنسبة للشاعر، فإن تنافرت الصور مع بقية الصور أو بقيت الدلالات الفنية كان ذلك مدعاة للإخلال بوحدة العمل الشعري..."[1].

فهنا هو يخل بوحدة الخيال والشعور والتفكير ويؤدي ذلك إلى تداخل أجزاء العمل الفني واضطرابها بصفة جامعة.

والغماري استخدم الصورة الشعرية في أشعاره من أجل أن يعبر بها عن أفكاره تعبيرا غير مباشر في الإيحاء والتصوير، وهذا ما يزيد الشعر قوة، فالصورة الغمارية هي تمثيل هادف وواضح يتجه نحو غاية بذاتها لا يحيدها فهي ليست زخرفة فنية فحسب بل حاسة فنية بارعة تكشف الدلالات وتوحد الإشارات ببراعة تامة إذ يقول الغماري في قصيدة من بحر البسيط:

بعيـد عنـك رَاحِلتي تَجُوب اللّيـل
وَالسَفرَا
تَـآكل خطواهاَ فِي الغُربـة السَـــوْدَاء
وَاندثَر
بَعِيدُ عَنْك لاَ نَايَا فَيُسْعِدني وَلاَ وَتَرَا[2]

والغماري يصور الغربة ويكثف هذا المعنى بألفاظ تدل على السواد والظلام واليأس، فالألفاظ اجتمعت في كل متكامل يتغلغل إلى نفوسنا فتشارك الشاعر إحساسه وعاطفته وتتضح لنا صورة شاعر مغترب يعاني مرارة الواقع، ويجاهد الوصول إلى مجتمع إسلامي ويقول أيضا في قصيدة من بحر متقارب:

أَنَا فِيك يَا بِنْت السَمَاء مُسَافر وَترى
وَفِكْرِي
مُتَوَثب فِي الدَّرْب إِعْصارا عَلَى أَشْلاَءِ
دَهْري
فِي ظِلك القُدُس لَمْلَمت الرُؤى وَهَتَكت
سِرّي

[1]يحياوي الطاهر: البعد الفني والفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري، ص 91.
[2]مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 13.

وَعَلى حَنَيَاكِ اخضِرَار شَبَّ فِيه لَهيب
عُمْري[1]

الصورة هنا مبينة على المجاز، فسفر الشاعر ليس سفرا حقيقيا ماديا بل معنويا، وبنت السماء كناية عن العقيدة الإسلامية، وتقوم الألفاظ الأخرى باستكمال الصورة المتمثلة في السفر، فالوثر والفكر يدلان على الرحلة، وهذه الرحلة مختلفة عن رحلات الشاعر السابقة لأنه قد وصل إلى نهايتها واستظل بالظل القدسي، ووصل إلى مراده، ولا يمكن فهم هذه الصورة إلا بالتفاعل مع عاطفة الشاعر لأنه يبني صورة على أساسها، لأنه يرحل إلى الله وإلى العقيدة الإسلامية المغيبة عن المجتمع، فيقول في قصيدة بحر الهزج:

حِينما يَسْلِبني اللّيل عَلَى الأَبْعَاد
زَفرَة
يُوغِل الصَّمت وَيَهتَدُ عَلى الأَعْمَاق
صَخْرة
وَتُنَاجِينِي جِراح فِي الرِياح السُود
حَسْده
وَيَحْجُر الأَلَم المَجْنُون فِي الأَوتَار
شَفْرَة[2]

فالصورة في هذه المقطوعة مليئة بالإيحاءات التي تعبر عن ذلك الألم الحاد الذي يعانيه الشاعر، ويمكن أن نستشف ذلك من خلال العبارة التالية: "يصلبني الليل على الأبعاد زفرة"، هذه العبارة توحي بالوحشة والألم في ليل طويل لا ينتهي يصير فيه الشاعر مجرد زفرة.

والملاحظ أن الغماري يلجأ عادة إلى الاستعارة من أجل تحقيق صوره الشعرية، كما يعتمد في بناء صوره على الرمز الذي يعتمد على التأويل والتلميع

[1] المصدر نفسه، ص 149.
[2] مصطفى محمد الغماري: أسرار الغربة، ص 28.

دون التصريح، فالصورة عند الغماري أصبحت هي الفكرة، وهي الموقف، لأنه يشحنها بطاقات عاطفية نابعة من أعماق نفسه.

خـاتـمـة

خاتمة:

لقد توجع موضوع الاغتراب بالكثير من التعريفات و الدراسات المختلفة،كل هذا ما اختلف فيه الأدباء و المعاجم في إعطاء مفهوم مناسب،و على ذكر ماسبق فقد اهتم الأدباء على دراسات و تجليات في الشعر الجزائري المعاصر خاصة في مرحلة التسعينيات ،فهذه المرحلة كانت تغير عديد من النقاط على المجتمع الجزائري في تلك الفترة ،و كذلك على نفسية الشاعر الجزائري .

و من خلال الأبحاث و الدراسة التي قمنا بها و البحث عن ظاهرة الاغتراب رأينا الكثير من التغيرات التي طرأت على شعراء التسعينيات ،و بالخصوص الموضوع الذي تناولناه في هذه المذكرة ، ومن خلال النصوص التي درسناهافي مرحلة التسعينيات نجد الشعراء في هذه الفترة اتجهوا في كتاباتهم الشعرية بنفس الهدف،وأن الموضوع كان واحد،و الإحساس بالاغتراب سواء داخل الوطن أو خارجه،وهذا من خلال الأوضاع المزرية و العشرية السوداء في تلك الحقبة ،و من خلال هذا البحث الذي تكلمنا فيه عن شعراء التسعينيات في الجزائر ضمن كتاباتهم عن ظاهرة الاغتراب أي قراءة في مدونة شعراء التسعينيات توصلنا إلى بعض النتائج التي تتمثل في:

-ظهور نخبة من الشعراء تمكنوا من كتابة في ظاهرة الاغتراب في تلك المرحلة.

-معرفة ظاهرة الاغتراب بالمعنى العام و الخاص.

- الشعر هو الوسيلة الأقرب لمعرفة ظاهرة الاغتراب، و ذلك يعود لنفسية الشاعر.

-ثأتير العشرية السوداء على نفسية الشاعر.

-الوقوف على مظاهر الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر مرحلة التسعينيات.

وفي هذا الفصل تناولنا أيضا الاغتراب في شعر مصطفى محمد الغماري **الذي جاء ليركز على صميم البحث وذلك بالتطرق إلى الجانب التطبيقي بالدراسة والتحليل، وأخذنا ديوان** "أسرار الغربة" **نموذجا.**

تناولنا **حياة الشاعر ونتاجه الشعري**، ثم إلى أهم **مظاهر الاغتراب في شعره** متمثلة في: **الثورة على الواقع**، الذي دعا من خلالها إلى تغيير مسار حياة المسلمين بالرجوع إلى الإسلام، وذلك منذ أن بدأت بعض الأفكار الغربية تتسلل إلى المجتمعات العربية.

ثم **الهروب من الواقع**، الذي يعد نوعا من الرفض للواقع والثورة عليه، وهذا ناتج عن حجم الظلال والفساد الطاغين والمتفشيان في البلاد العربية.

وأيضا **إلى التشاؤم والحزن**، الذي صور من خلاله مجتمعا وواقعا مليء بالتناقضات، والظلم والقهر وكل أنواع الانحراف.

كما تطرقنا إلى **أثر الاغتراب في لغة الغماري الشعرية** من خلال: **الألفاظ والعبارات** (فهي ضرورية لدى الشاعر للتعبير عن تجربته، لأن مأساة الاغتراب عنده عبّرت عنها اللغة فصورت غربته بكل ما تحملها من معاناة وآلام)، وإلى **الأسلوب** الذي تناولنا فيه: (التكرار، التشخيص، التجسيد، التقابل والتضاد)، وكذا إلى **الرمز** من خلال: (الرمز الديني، الرمز الصوفي والرمز الأسطوري)، وأخيرا **الصورة الشعرية** (التي ارتبطت بنفسية الشاعر، لأن الصورة تحمل أصدق ما يشعر به الشاعر من اغتراب وإبداع في الوقت نفسه).

قائمة المصادر

1. ابن منظور، لسان العرب المحيط، دار الجيل بيروت 1988، ج4،
2. أبو الطيب المتنبي، ديوان أبو الطيب المتنبي، دار الجيل، القاهرة، د ط 2005.
3. الجاحظ أبو عثمان:الحيوان، دار الجيل، بيروت 1965، ج2.
4. الجاحظ، الحيوان د ط دار الجيل، بيروت ج 1965، 2
5. خليل الحر:المعجم العربي الحديث(لاروس)،مكتبة لاروس،باريس
6. عنترة بن شداد،ديوان عنترة،دار بيروت للطباعة و النشر،د ط 1984
عيسى حماد عبد العزيز:صراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات، الجزائر،1990.
7. محي الدين محمد بن يعقوب الفيروز الأيادي، القاموس المحيط، دار الجيل، بيروت ج1.
8. مصطفى ألغماري: أسرار الغربة، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع،الجزائر ط2 1982
9. الملتمس:هو جدير بن عبد الله المسيح،بن بني ضيعة و أقواله بن شكر،ديوان الملتمس الفني، إبراهيم عبود،السامراني (بغداد)1973،
10. النابغة الذبياني:ديوان النابغة الذبياني،تحقيق محمد الطاهر بن عاشير،الشركة الوطنية للنشر،الجزائر،د ط 1976

قائمة المراجع

11. أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب العربي و الرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
12. أزراج عمر:الأعمال الشعرية الكاملة 1969،دار الأمل للطباعة والتوزيع
13. الأزهر عطية:السفر إلى القلب،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر 1984
جازية كرام:الاغتراب العمالي في منشأة صناعية جزائرية،عوامله و نتائجه 1988.
14. حسن فتح الباب:شعر الشباب في الجزائر بين الواقع و الأفاق م،الوطنية للكتاب،الجزائر 1987.

15. حلمي إبراهيم عبد الفتاح:الغربة في شعر أسامة بن منفذ،مجلة مؤتة،جامعة مؤتة،الأردن م 93/8

16. الطاهر يحياوي:البعد الفني و الفكري عند الشاعر مصطفى محمد الغماري د ط،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983.

17. عبد الحميد همة:البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري المعاصر،دار الهومة،ط1988،1

18. عبد الله الطاوي:مقدمات في أدبنا القيم، النصر، شعرية ونثرية، كلية الآداب القاهرة، دار قباء للطباعة.

19. عبد الله اللركبي:الشعر في زمن الحرية،دراسة أدبية نقدية د ط،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر 1994

20. عمر بوقرورة:الاغتراب في الشعر الإسلامي المغاربي المعاصر 1990/1960

21. عيسى حماد عبد العزيز:صراع الإنسان ضد وحش الصحراء عند أصحاب المعلقات، الجزائر،1990.

22. فاطمة حميد السويدي،الاغتراب و الشعر الأموي،مكتبة مديولي، القاهرة ط 1997

23. فيلان المعالي:العلاقة بين الاختصاص الأكاديمي و بعض جوانب الاغتراب وفقا لمقاييس ثوابت دين،دراسة ميدانية،مجلة اليرموك، الأردن ع4 1999.

24. محمد ناصر:الشعر الجزائري الحديث نقلا عنه محمد سعيدي: الشعب ع3486 1975/02/20

25. محمود راجب الاغتراب ،سيرة المصطلح،دار المعرفة،ط 2،1986

مذكرات تخرج:

26. ظاهرة الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر،مرحلة التسعينيات،مذكرة تخرج شهادة ماستر 2020/2019

مقدمة.....6
تعريف الاغتراب : 4
تجليات الاغتراب في الشعر الجزائري المعاصر: 7
أسباب الاغتراب : 14
الاغتراب في الشعر العربي قديما وحديثا 15
في الشعر الأموي 18
في الشعر العباسي 19
حديثا 20
في الشعر الحديث 20
في الشعر المعاصر 23
أ.حياته. 28
ب.نتاجه الشعري.....28
مظاهر الاغتراب في شعر الغماري 32
الثورة على الواقع.....32
الهروب من الواقع 41
التشاؤم والحزن 48
أثر الاغتراب في لغة الغماري الشعرية: 53
المفردات والعبارات 53
ب.الأسلوب 58
ج.الرمز 64
د.الصورة الشعرية.....69
خاتمة.....**Error! Bookmark not defined.**
قائمة الكتب و المراجع 76